الخلافة العباسية والحركات الاستقلالية بالمشرق
205هـ - 432هـ
قوة الأطراف وتضاؤل المركز

الدكتور: نجيب بن خيرة(*)

الملخص

لم تبق الخلافة العباسية بعد عصرها الأول موحدة الأقاليم، متماسكة النواحي، وذلك لما طرأ على حكامها - بعد عصر العباسيين الأوائل - من ضعف في الحكم جرّأ الأتراك العسكر عليهم حتى غلب سلطانهم على سلطان الخلافة في بغداد، فاستأثروا بحكم أقاليم المشرق كالدولة الطاهرية، والدولة الصفارية، والدولة السامانية، والدولة الغزنوية ..

وقد تباينت العلاقات السياسية بين سلطان هذه الدويلات وبين الخليفة العباسي من ولاء أفضى إلى التعاون على إحكام القبضة، ومواجهة الخصوم .. أو إلى التنافر حدّ الصراع، مما مكّن الأطراف من السيطرة على المركز .

ولكن عبقرية الحضارة الإسلامية أحالت هذه الأطراف إلى قوى تنوب عن المركز في نشر الإسلام، وحماية مملكته، ونشر ثقافته بين الأمم والشعوب .

(*) أستاذ مساعد بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية - جامعة الشارقة

Abbasid Caliphate and Seperatist Movements in the East

Najeeb ben Khairah

Abstract

Abbasid Caliphate kept united in its first age , but , Its rulers wekness ,(later), made Turks dominate the caliphate and establish the following states in the eastern parts of the Islamic kingdom; Tahirids,and sapharid,and Samanid,and Ghaznawid.political relations between the rulers of these states and the Abbasid caliph in Baghdad Varied, between reconciliation and hostility, but the genius of Islamic civilization has made these states separate act on behalf of the Center of Caliphate in spreading Islam and protect these Islamic kingdom, and the dissemination of culture among nations and peoples.

توطئة :

لما كان وجود الدويلات المستقلة في المشرق يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالأوضاع السائدة في العراق مركز الدولة العباسية فلا يتسنى فهم الحركات الاستقلالية إلا إذا فهمنا أوضاع الدولة العباسية حتى أواسط القرن الثالث الهجري، لنتبين الأسباب الحقيقية التي كانت وراء تفكك الدولة العظمى وتجاذب أطرافها من قِبل أجناس وأعراق مختلفة.

لقد وحّدت رابطة الدين بكل ما تمثله من مظاهر شعوب الأمة الواحدة، المحرّرين والفاتحين العرب، فكوّنوا حضارة إسلامية مزدهرة مترفة، ثم انشغلوا عن عامل توحدهم وهو " العقيدة " إلى مظاهر الثراء المادي والمجد والرفاه، والتنازع من أجل كسب أكبر قدر من السيطرة على مقدرات الدولة ومواردها، مما جعل الظروف المالية للدولة الإسلامية منذ بداية القرن الثالث الهجري تصاب بالانهيار بسبب الحروب الأهلية الطاحنة التي دارت بين جيش الأمين وأخيه المأمون بالإضافة إلى الحروب الخارجية والفتن الأهلية وإدخال عنصر جديد في الجيش هو العنصر التركي.

وقد أحكم الأتراك قبضتهم على مركز الدولة، وأضعفوا هيبتها، وخففوا من ضغطها على القوى الغير الإسلامية والمتمثلة في الدولة البيزنطية.

وإذا كان استخدام العباسيين للأتراك قد بدأ في عهد المأمون وفي حرسه الخاص، وإذا كان تواجدهم في هيكل الجيش قد تعاظم في عهد المعتصم، فهؤلاء الخلفاء بالإضافة إلى كونهم سياسيين محنكين كانوا قوّادًا عسكريين أيضا، مما مكنهم من كبح جماح الجند الأتراك والإبقاء على قوتهم في إطار الحدود الممكن التحكم فيها، ولقد بدأت مؤسسة الخلافة تفقد قدرتها على السيطرة على الجند الأتراك بصورة تدريجية بداية من وفاة المعتصم، وكان استفحال أمرهم التام مع المتوكل حيث نجحوا في قتله، وكان هذا إيذانا بتزايد تدخلهم في شؤون الخلافة حتى أضحى الخليفة دمية مشدودة إلى أيديهم هم يحركونها كيف شاءوا، هذا فضلا عن قيامهم باختيار شخص الخليفة الذي أضحى بقاؤه في منصبه أو فقدانه له مرهونًا بمدى قدرته على الامتثال لهم(1).

ولما استأثر الجند الأتراك من دون الخلفاء العباسيين بأمور الحكم وتحكموا في شئون الدولة ساءت الأحوال الاقتصادية، واضطربت الأوضاع السياسية، وعمد الأتراك إلى استنزاف موارد الدولة للحصول على أرزاقهم دون الاعتناء بضرورة تعويض هذه الموارد، فأهملت شئون الزراعة والري والسدود، وأدى سوء الأحوال الاقتصادية إلى انفجار الثورات ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي مثل ثورة الزنج، وهي ثورة عمال الأراضي الزراعية في العراق، والتي نجحت في الاستيلاء على مناطق كبيرة منه، واستمرت حوالي أربعة عشر عامًا، وكذا حركة القرامطة

التي روعت البشر من سواد العراق إلى الشام إلى البحرين إلى مكة، هذا بالإضافة إلى تفشي جرائم السرقة وقطع الطريق مما انعكس على عدم استقرار الحالة الأمنية وأثر بالتالي على تدفق التجارة، فكان ارتفاع الأسعار لنقص المحاصيل الزراعية وتقلص تدفق التجارة، حتى إن بعض جماعات "الشطار" والعيارين[2]؛ الذين كانوا يسرقون من الموسرين ليعطوا الفقراء والمحتاجين[3].

إن هذه الأوضاع مجتمعة، أثرت سلبًا على قدرة الدولة في بغداد على التحكم فيها ومواجهة تداعياتها.. إلا أن ذلك لم يحدث بسبب النوعية الرديئة لنماذج الخلفاء مع مطلع العصر العباسي الثاني، الذين صاروا فيه أضحوكة الزمان، وألعوبة في يد الأغراب فحسب.. بل إن قصورهم أصبحت عصبة أمم لما تضم من جواري وسراري من مختلف الأجناس (رومية، شركسية، تركية...) "مما أدى إلى كثرة الأبناء المطالبين بالسلطة مع عدم وجود قانون يحدد وراثة العرش وينظمها، فأدى إلى الفتن الأهلية ومؤامرات البلاط، وتدخل الحريم من أجل عزل خليفة ورفع آخر مكانه، ففُقد الاستقرار والاستمرارية التي كانت المبرر الرئيسي للالتجاء إلى تغليب نظام الوراثة على مبدأ الشورى" [4].

وكان من الطبيعي في ظل ضعف المركز أن تنمو النزعات الاستقلالية ليس فقط في الأقطار النائية كما كان الحال في العصر العباسي الأول، بل وفي الأقطار القريبة من المركز أيضا، فبعد أن شهد العصر العباسي الأول خروج المغرب الإسلامي من قبضة الدولة العباسية فإن العصر العباسي الثاني شهد تفكك المشرق ذاته منذ منتصف القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي، فظهر الصفاريون بعد الطاهريين في خراسان عام (254هـ)، وظهر السامانيون في بخارى قبلهم عام (250هـ)، وظهر الطولونيون في مصر عام (254هـ)، ثم بعدهم الإخشيديون عام (323هـ)، وظهر الزيديون في اليمن قبل ذلك عام (246هـ)، والحمدانيون بعد ذلك في الموصل وحلب عام (317هـ)، حتى وصل الأمر في سنة (247هـ) إلى مقتل المتوكل وتقلص نفوذ العباسيين واقتصاره على العراق والجزيرة[5].

إن الأوضاع المتردية التي آلت إليها الخلافة العباسية ـ والتي سبق ذكرها ـ كانت قمينة بأن تنخر جسم الأمة الواحدة، وتجعل الجسد المتماسك تتناثر أشلاؤه، لا لشيء إلا لأن الجسم اعتورته أدواء وعلل تمثلت في:

1 ـ تخلّي الدولة الإسلامية عن أداء واجبها تجاه الجماعة في تحقيق الشهود الحضاري في حراسة الدين وسياسة الدنيا به.

2 ـ لما كان الرباط العقيدي يمنح المسلم حق الانتماء إلى كل من الدولة والأمة والجماعة انتماءً عقيديًا فإن هذا المعنى كاد يغيض عندما شعر العرب بأنهم أعلى مقاما، وأقوم مسلكا، وأشرف نسبًا، من جميع الأرومات المختلفة، الأمر الذي هيّج الشعوبية الكامنة، وبعثها من مرقدها، وجعل مصالح الأمة تضيع

بين تطرفين: التطرف القومي العربي والتطرف الأعجمي الشعوبي.

3 ـ غياب مبدأ الشورى في الأمة جعل أصنافا من الخلفاء من ذوي الهمم الهابطة، والكفاءات المعدومة، والمواهب المحنطة، تتولى شؤون دولة عظمى مترامية الأطراف، متباينة الأعراق، وهذا لعمري يجعل النزعة إلى الانفصال والاستقلال ترجح على النزعة إلى تركيز السلطة والإبقاء على الوحدة.

ومهما يكن من أمر فإن ظاهرة الاستقلال عن الدولة المركزية في مراحلها الأولى لم تكن بالمظهر الكارثي بمقاييس السياسة والدين.

فبمقياس السياسة يمكن اعتبار أن الدول المستقلة في المشرق والمغرب نابت عن المركز الخلافي في حمل عبء الجهاد ضد أطماع الأطراف الدولية الأخرى، وأحبطت خططهم لاستغلال ظرف انحلال مركز الخلافة العباسية في المشرق، بل واستطاعت في المغرب الإسلامي أن تستكمل دور الفتح والمد الإسلامي في الأراضي غير الإسلامية والذي كان قد بدأ في العصر العباسي الأول، وسيتضاعف هذا الدور الإيجابي للمغرب الإسلامي على الساحة الدولية بقيام الدولة الفاطمية الفتية لتعوض بشبابها هرم الدولة العباسية وعجزها. وهذا دليل ما كانت تنطوي عليه الأمة الإسلامية من حيوية، وما تملكه من رؤية مشتركة للمسير والمصير، واستطاعت أن تمتص الصدمة إلى حد كبير، وتحويلها إلى حركة إيجابية في مجالات العقيدة والسياسة والحضارة.

أما من الناحية الدينية فقد رأينا الفقهاء حينما وجدوا ـ في ضوء ما أثبتت لهم التجارب العملية ـ أن وحدة الإمامة تكون في كثير من العصور متعذرة، فقد أفتوا بأنه يجوز تعددها عند اتساع المدى وتباعد الأقطار، والذي تبرهن عليه حقائق التاريخ أن تعدد الإمامة قد يكون ـ في بعض الأحوال أو العصور ـ أدعى إلى اقتدار الأمة على إصلاح حالها وتدبير شئونها، وإلى مضاعفة قواها، بازدياد قوات الوحدات التي تتألف منها، بينما تكون وحدة الحكومة أو الإدارة ـ مع اختلاف طبائع وحاجات الأقطار والشعوب ـ مؤدية إلى عكس هذه الأمور، فينتج عنها الإهمال، أو الاضطراب، أو الاستغلال.

والذي يجب إذا أُجيز التعدد ـ بحسب ما تمليه مصالح الشعوب ـ هو أن تتحقق الوحدة في الأهداف والغايات، ومن أهم تلك الأهداف هي أن تقف الأمة كلها صفًا واحدًا أمام الأعداء، فهذا هو الذي يقتضيه واجب حمايتها، والوحدة في هذه الغاية هي الحكمة التي روعيت عندما أوجبت الآيات والأحاديث على المسلمين أن يكونوا في كل وقت متحدين. فيجب أن تتحقق الوحدة بين الشعوب الإسلامية ـ إذا كان لابد أن تتعدد حكوماتها في مسائل الدفاع، وما يتصل به من شؤون الحرب والقتال، كما ينبغي أن تتحقق الوحدة ـ أيضًا ـ في السياسات الخارجية(6).

وفي هذا دليل مرونة العقلية التشريعية في الإسلام،فاختلاف أشكال الحكم لا يهم مع وحدة المرجعية.

ولا شك أن هذه الدول المنفصلة استطاعت ولمدة طويلة أن تتصدى للخطر في الداخل والخارج، ونجحت في مدّ توسع دار الإسلام، وجعلت حواضر الثقافة الإسلامية تتعدد بعدما كانت مقصورة على العاصمة بغداد، وراح المستقلون يتنافسون في تلميع عواصمهم، وجعلها مقصد أهل العلم وطلابه، مما منح فرصة جديدة لصيرورة الحضارة الإسلامية(7).

وبما أن مجال هذا البحث ونطاقه هو إقليم المشرق ـ أي شرق مركز الخلافة العباسية ـ فإننا سنقصر الحديث عن أربع دول حكمت في هذا الإقليم، لنرى علاقات المركز بالأطراف كيف تفاوتت بين الولاء والبراء، حسب الحاجة إلى هذه القوة أو تلك، وخاصة بعد أن أدرك الخلفاء العباسيون الأوائل وخاصة الخليفة المأمون الذي أدرك ميول المشرق إلى الانفصال والاستقلال، ورأى أن خير وسيلة للوقوف في وجهها هي اللامركزية الإدارية، وإعطاء درجة من الحكم الذاتي للأقاليم، وذلك للوقوف في وجه النزعات الانفصالية وما تحتويها من أهداف لتقويض الحكم العربي الإسلامي والعودة بهذه الأقاليم إلى ما كانت عليه أيام المجوس الساسانيين . ولهذا فإن السلطة المركزية سلمت خراسان إلى الطاهريين وما وراء النهر للسامانيين في وقت مبكر، وازدادت القناعة بهذا التوجه بعدما غدا الخليفة العباسي مكبلا سياسيًا وعسكريًا وليس لديه جيش يدافع عن دولته، ولا إدارة قوية تبسط سلطانها على الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة في بغداد.

وإذا كان الطاهريون يمثلون بدايات التمهيد للانفصال، فإن ضعف الخلافة للسيطرة على الأطراف تجلى عند ظهور نجم الصفاريين في سجستان، ومحاولتهم الفاشلة للزحف نحو مركز الخلافة في بغداد والسيطرة عليها سنة 262هـ .

ثم جاء بعدهم السامانيون يحملون معهم النزعة الفارسية، التي نمت في ظلها ثقافة الفرس، وأصبحت لغتهم تزاحم لغة الوحي في ميادين الفكر والإبداع، بينما كان الغزنويون يقدمون نموذجا لعلاقة طيبة مع العراق والخلافة المركزية الخالية من " العقدة الفارسية "، بل إنهم هددوا مصالح البويهيين ومناطق نفوذهم في بلاد فارس حين احتلوا "بست" سنة 267هـ في سجستان .

ولكن ما من شك فإن وتيرة العلاقات بين الأطراف والمركز تباينت صعودًا وهبوطًا، عداءً وولاءً، وحدةً وتنوعًا، وشكلت مرحلة كان لابد للخلافة الإسلامية أن تمر بها، في ظل الامتداد الجغرافي، والتنوع الثقافي للمملكة الإسلامية الواسعة.

1ـ الدولة الطاهرية ...عندما يتحقق الطموح .(205 ـ 259هـ)

تنتسب الدولة الطاهرية إلى "طاهر بن الحسين"(8) الذي نشأ في عائلة كافحت

بجانب العباسيين وشاركت في توطيد سلطانهم، واستقرار أوضاعهم، ونجاح دعوتهم وخاصة في إقليم المشرق. وبعد أن نشبت الحرب الأهلية بين الأمين وأخيه المأمون، لعب طاهر بن الحسين وولده طلحة دورًا بارزًا في هذا الصراع وبذل جهودا كبيرة في ترجيح كفة المأمون على أخيه الأمين، وقد كافأه المأمون على صنيعه بأن عينه واليا على إقليم الجزيرة وأسند إليه رئاسة الشرطة ببغداد، كما عين أفراد أسرته في مناصب كبيرة في الدولة العباسية، إلا أن طاهرًا لم ترضه المكافأة وظل يتطلع للحصول على ولاية خراسان إلى أن عيّنه المأمون عليها واليًا رغم ما أبداه من مخاوف في بادئ الأمر من هذا التعيين، حيث قال لوزيره أحمد بن أبي خالد الذي توسّط لطاهر عند المأمون: "إنّي أخاف أن يغدر ويخلع ويفارق الطاعة"[9].

ويبدو أن المأمون استهدف من تعيين طاهر على خراسان القضاء على حركات التمرد والعصيان في ذلك الإقليم؛ نظرًا لما كان يعهده فيه من مقدرة وكفاءة.

اتخذ طاهر بن الحسين نيسابور عاصمة لدولته وبدأ يوطد حكمه في خراسان والمشرق. ويبدو أن شكوك الخليفة كانت في محلها فلم تمض سنتان على حكمه حتى أعلن طاهر سنة(207هـ) إسقاط اسم الخليفة من الخطبة، وهذه علامة التمرد على السلطة المركزية في بغداد.

والواقع أن إقليم خراسان يغري بالتمرد والانفصال، لبعد أراضيه عن عاصمة الخلافة، وكثرة موارده الاقتصادية، وشراسة أهله في القتال، إلا أن طاهرًا أساء التقدير هذه المرة فقد بادره المأمون وبمساعدة وزيره ابن أبي خالد وقتله قبل أن يستفحل أمره[10]، سنة (207هـ).

عهد المأمون بولاية خراسان من بعد طاهر بن الحسين إلى ولده طلحة بن طاهر سنة (207هـ). ويرى بعض الباحثين أن المأمون اضطر إلى أن يظل حكم خراسان في عقب طاهر؛ نظرًا لما كان يتمتع به الطاهريون في هذا الإقليم من نفوذ واسع، أو لعله أراد أن يبعد الشكوك التي حامت حوله بسبب موت طاهر المفاجئ[11].

استمر حكم طلحة لخراسان إلى أن توفي سنة 213هـ وظل وفيًا للمأمون، تربطه به روابط حسنة، وبذل خلال ولايته جهودًا معتبرة في تتبع الخوارج وإخماد ثوراتهم، كما أعلن ولاءه للعباسيين مؤكدًا على ذكر اسم الخليفة في الخطبة والشارات والسكة ومرسلا الربع السنوي المخصص لبيت المال في بغداد، والذي كان يقدر زمن الطاهريين بحوالي 38 مليون درهم سنويًا[12].

ومنذ ولاية عبد الله بن طاهر على خراسان أصبح الحكم في بني طاهر وراثيًا، كما أصبح اسم الولاة يذكر في الخطبة ويطبع في السكة إلى جانب اسم الخليفة، كما

امتد سلطان بني طاهر إلى مناطق أخرى غير خراسان مثل: الري وكرمان وبعض أقاليم بحر قزوين وبلاد ما وراء النهر، فأرسل عماله، وجبى أموالها واستقر حكمه بها[13].

اهتم عبد الله في بداية حكمه بمشكلة الخوارج الذين ظهروا بقرى نيسابور، وقد كثر عبثهم بها وغلبتهم عليها[14]، فقاتلهم وتمكن من كسرهم وقمع حركتهم؛ كما أرسل قوة كبيرة إلى سجستان، فالتقت معهم في معارك دامية كان الظفر فيها لعبد الله حتى استطاع من تفريقهم وإزالة خطرهم، ثم رجع إلى نيسابور في رجب سنة (215هـ). بل إن خدماته الجليلة للدولة العباسية امتدت حتى شملت مصر؛ فقد أخمد بها ثورات في أجزاء مختلفة منها، أزعجت الخلفاء العباسيين وأقضت مضاجعهم.. وقد وصف أحد علماء الحديث من أهل مصر الحالة السياسية التي كانت قد تردت فيها مصر قبيل دخول عبد الله بن طاهر فيقول:

"قدم علينا من قبل الشرق فتى حدث (يعني عبد الله بن طاهر) والدنيا عندنا مفتونة، قد غلب على كل ناحية من بلادنا غالب، والناس منهم في بلاء، فأصلح الدنيا وأمّن البرئ، وأخاف السقيم واستوثقت له الرعية بالطاعة". ويذكر ابن الأثير أنه لا يزال في مصر نوع من البطيخ يسمى "العبدلاوي" نسبة إليه[15].

وحينما ثار محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة (219هـ) بالطالقان يدعو إلى الرضا من آل محمد ويدعي الخلافة؛ تمكن عبد الله من القبض عليه وإرساله إلى الخليفة في بغداد والذي سجنه بسامراء. وبالرغم من أن ابن خلكان يذكر أن طاهر بن الحسين كان من الشيعة ومن محبي آل البيت، إلا أن الظروف العسكرية والسياسية اضطرت الطاهريين إلى مداراة هذا الشعور وعدم إظهاره، وتغليب الولاء التام للخلافة العباسية. كما شارك الطاهريون في إسناد الخلافة العباسية ضد حركة بابك الخرمي[16] وما حدث في أعقابها وتمرد "اصبهبذ طبرستان المازيار بن قارن"[17] الذي كان يتذمر من الحكم العربي الإسلامي ويحوك مؤامرة بالتعاون مع الأفشين قائد المعتصم الذي كانت له هو الآخر طموحات انفصالية في خراسان والمشرق. وانتهى الأمر بهزيمة المازيار والقبض عليه وإرساله إلى المعتصم، حيث قتل وصلب في سامراء سنة 225هـ. وإن إخماد ثورة المازيار لدليل على فشل الحركات السياسية التي تتمثل فيها الشعور القومي الإيراني حينما تتخذ الآراء الفارسية القديمة شعارًا لحركاتها[18].

ولم تقتصر خدمات عبد الله بن طاهر على قمع الحركات المناوئة للعباسيين فحسب بل أرسل عبد الله بن طاهر ولده طاهر على رأس الجيوش لغزو بلاد الغوزية وفتح مواضع لم يصلها أحد من قبله[19].

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الطاهريين وهم يخدمون الخلافة العباسية في القضاء على الاضطرابات في أنحاء مملكتها إنما كانوا في الوقت نفسه يخدمون مصالحهم الأساسية؛ لأنهم حكام خراسان. ومصالحهم متطابقة مع مصالح العباسيين فيها، إلا أنهم حققوا مطامعهم بعيدا عن الزندقة وعدم الاهتمام بالدين مما قد يحرج الخلافة، ويمكن اعتبار الطاهريين رعاة السلطة العربية، ومصدر قوتها المخلصة، يطيعون أوامرها وينفذونها بأمانة وإخلاص[20].

بل إن الخلافة العباسية ساعدت الطاهريين في حركتهم الثقافية؛حيث كانت تسمح لهم باستيراد العلماء والأدباء من بغداد وغيرها إلى خراسان لتنشيط حركة الفكر العربي فيها([21]).

بقي عبد الله بن طاهر على حكم خراسان وبلاد المشرق طوال عهد المأمون والمعتصم، وصدر أيام الواثق إلى أن مات في يوم الأربعاء 10 من ربيع الآخر سنة (230هـ)(22). وقد أكثر الشعراء في مراثيه، وأحسن ما قيل فيه وفي أبيه طاهر قول أبي الغمر الطبري:

فأيامك الأعياد صارت مآتمًا	وساعاتك الصعبات صارت خواشعًا
على أننا لم نعتقدك بطاهر	وإن كان خطبا يقلق القلب راتعًا
وما كنت إلا الشمس غابت وأطلعت	على إثرها بدرا على الناس طالعًا
وما كنت إلا الطود زال مكانه	وأثبت في مثواه ركنا مدافعًا
فلولا التقى قلنا تناسختما معا	بديعي معان يفضلان البدائعًا

2 ـ الصفاريون ..وجرأة التحدي لوحدة الدولة (254هـ ـ 300هـ) :

بعد وفاة عبد الله بن طاهر، أسند الخليفة الواثق ولاية خراسان إلى ابنه طاهر، الذي ظل ولاؤه وثيقًا بالخلافة العباسية، يحفظ ثغورها الشرقية، وينكل بأعدائها، ويتتبع المناوئين لها إلى أن توفي سنة 248هـ بعد حكم لخراسان دام ثمانية عشر عامًا.

ثم أوكل الخليفة العباسي المستعين بالله (248هـ ـ 251هـ) محمد بن طاهر على خراسان[23]. وقد خاب ظن الخليفة فيه وذلك لميله إلى العبث واللهو والمجون عاجزًا عن صد الثورات التي قامت ضده[24]، وخاصة صد قوة الصفاريين الجديدة التي برزت في سجستان[25] وكرمان[26]، كما استطاع يعقوب بن الليث الصفار[27] في سنة (257هـ) أن يتقدم إلى بوشنج ويستولي عليها، وقبض على الحسين بن طاهر عامل محمد بن طاهر عليها، فأرسل إليه محمد بن طاهر يسأله إطلاق سراحه، فلم يلب طلبه، وأبقاه في الأسر[28]، وفي نفس العام قام الحسن بن زيد صاحب طبرستان بالزحف على

جرجان، فلم يقدر محمد بن طاهر على دفعه وعجز عن محاربته[29].

وأصبح محمد بن طاهر بين قوتين كبيرتين لا طاقة له على إخضاعهما، الحسن بن زيد[30] في طبرستان، ويعقوب بن الليث في سجستان، وكانت الظروف السياسية للخلافة في وضع لا يسمح لها بالتدخل حيث انشغلت الخلافة بحرب الزنج في جنوب العراق[31]. ولهذا ترك محمد بن طاهر وحيدًا بين تلك القوى الطموحة[32].

ساعدت أوضاع سجستان يعقوب الصفار وزمرته، فقد انتقلت حركة الخوارج من أقاليم الوطن العربي إلى أقاليم فارسية خلال العصر العباسي، ولقيت القبول لدى جماعات عديدة من الفرس بوصفها حركة معارضة للحكم العباسي لها شعاراتها البراقة التي استهوت كل كاره لبني العباس نابذًا لحكمهم . وقد عدّ ابن الصفار نفسه في البداية مواليًا للعباسين ومنفذًا لخططهم في محاربة الخوارج، فكان يسعى إلى تأييد الخلافة، فيرسل إلى الخليفة بعض الهدايا، بل ادّعى أن الخليفة ولاّه سجستان قبل حصوله على التولية الشرعية .ولكن سرعان ما انكشفت أطماعه حين بدأ يوسع نفوذه إلى مكران والسند وكابل ..وظهرت جرأته في التحدي لوحدة الدولة العباسية الجامعة .

وتمادى يعقوب في تحديه مغترًا بما أحرزه من انتصارات فتحرك نحو بغداد في المحرم من سنة 262هـ قاصدا الخلافة في عقر دارها، فسعت الخلافة إلى تسكينه حتى تفرغ من ثورة الزنج وعرضت عليه تلبية رغباته لكنه ردّ رسلها وقال إنه لا يرضيه إلا أن يسير إلى باب المعتمد[33].

ما الذي كان يقصده يعقوب من وراء هذه العبارة الغامضة ؟ هل كان ينوي إسقاط الخلافة العباسية كما ذكر الوزير نظام الملك في كتابه "سياست نامة ؟ أم كان يريد إخضاع الخلافة لنفوذه وسيطرته كما فعل البويهيون بعد ذلك ؟ أم كان يريد أن يستوثق من صدق نيتها في توليته خراسان والمناطق الإيرانية الأخرى ؟

لم يكشف يعقوب عن ذات نفسه، وليس لدينا من القرائن ما يمكننا من الإجابة القاطعة عن هذه التساؤلات .

و لكن الذي يدهشنا أن يجرؤ يعقوب على التقدم صوب بغداد، والخليفة في قوته المادية والمعنوية ولديه في ذلك الوقت العدد الوفير من الجند والقادة والمال، وقد رسخت دولته في ضمائر الناس وقلوبهم .

لعل يعقوب كان يعتقد أن الخليفة المعتمد وأخاه الموفق أن يميلا إليه إذا قضى على نفوذ الأتراك، ويقال إن الخليفة في بعض كتبه قد وعد الصفار أن يعطيه السلطة الزمنية إذا فعل ذلك وكتب إليه سرا :" ندَع لك الدنيا حتى تحكمها لأن الدنيا

قد تبعتك، ونتبع كل ما تأمر به، ولتعلم أننا نرضى بالخطبة لأننا من بيت المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وأنت تقوي دينه، لأن لك غزوات كثيرة في بلاد الكفر"(34).

ولما تحقق يعقوب بن الليث الصفار من ضعف محمد بن طاهر تقدم سنة (259هـ) إلى نيسابور (العاصمة) وبها ابن طاهر فاستولى عليها، وقبض على محمد بن طاهر وعلى جميع أهل بيته وحملهم أسرى إلى سجستان، وظل سجينًا بها إلى أن حمله يعقوب معه إلى بغداد مقيدًا سنة 265هـ، وذلك في خطوة منه لمحاربة الخليفة(35)، وكأنه يريد للناس أن يعتبروا بمحمد، ولكن الخلافة أظهرت التعاطف مع الطاهريين وحاولت قدر استطاعتها أن تدافع عنهم، فتمكنت من تخليص محمد بن طاهر من أسر الصفار سنة (262هـ). وردّ له الخليفة عمله بخراسان كوالٍ عليها، إلاّ أنّ محمد رفض الولاية من جديد، وآثر البقاء في حاضرة الخلافة وأناب عنه رافع بن هرثمة على خراسان، ولما ولي الخلافة المعتمد عزل رافع وأعاد عمرو بن الليث الصفار إلى ولاية خراسان، ولم يكتف بذلك بل طلب من الخليفة ولاية ما وراء النهر وكانت تحت إمرة إسماعيل بن أحمد الساماني، فرفض إسماعيل تسليمها له وحاربه وأسره، وشتت شمل جيشه في موقعة "إصطربند"، وكانت هذه الموقعة من المواقع الحاسمة، فقد كانت عاملاً هامًا في سقوط الدولة الصفارية وقيام الدولة السامانية على أنقاضها سنة (287هـ).

3- الدولة السامانيّة ...الإستقلال في ظل الولاء (261هـ - 389هـ).

إن ضياع التاريخ الكبير من تاريخ آسيا الوسطى وإيران لم يسمح لنا إلا بمعرفة القليل من تاريخ الدويلات الطاهرية، والصفارية، والسامانية، وذلك لأن المؤرخين البغداديين لم يتحدثوا عنها إلا بالقدر الذي يخدم تاريخ العراق أو المناطق القريبة من إيران، وإن كان تاريخ الدولة السامانية على وجه الخصوص كان أكثر حضورًا؛ لاستقرار هذه الدولة إلى أواخر القرن الرابع في عاصمتها بخارى(36).

بعد أن تمكن إسماعيل بن أحمد الساماني من إنهاء النفوذ الصّفاري عن خراسان سنة (287هـ)، أقام السامانيون دولتهم التي استمرت مائة وثمانية وعشرين عامًا من سنة (261هـ - 389هـ). مما يدل على قوتهم وصلابة معدنهم.

ويكاد يجمع المؤرخون على أن السامانيين ينتسبون إلى جدهم الأعلى "سامان خداة" وهو نبيل فارسي انحدر من "بهرام جوبين"(37) أحد ملوك الدولة الساسانية، وأصله من بلخ، يدين بالديانة الزرداشتية(38)، وفي خلافة هشام بن عبد الملك وفد "سامان" على أسد بن عبد الله القسري والي خراسان، فأرسله أسد، وقهر أعداءه،

وأعاد إليه بلخ، فاعتنق "سامان" الإسلام على يديه وسمى ابنه أسدًا تبركًا به[39].

وكانت الاضطرابات وهجمات المغيرين المتكررة من الأتراك والدهاقين على خراسان وخصوصًا "بلخ" هي التي ألجأت سامان إلى الفرار والاحتماء بأسد بن عبد الله القسري الذي كان يقصده المضطهدون من العرب أو الفرس على حد سواء[40]، وفي مقابل ذلك قدم سامان خدمات كبيرة للعباسيين أيام دعوتهم، حيث تعاون مع أبي مسلم الخراساني في نشر الدعوة العباسية في الأقاليم الشرقية، ثم أصبح ولده أسد فيما بعد من أعوان علي بن عيسى بن هامان عامل هارون الرشيد على إقليم خراسان[41].

وكان لأسد بن سامان أربعة أبناء هم: نوح وأحمد ويحي وإلياس، وقد ساروا على نهج أبيهم في نصرة العباسيين، وتعضيد ملكهم، وتجلى ذلك في إخمادهم ثورة رافع بن الليث ابن نصر بن سيار في سمرقند سنة (194هـ)، وذلك بعقد هدنة معه زمن الرشيد وفي عهد المأمون لعب هؤلاء الإخوة الأنجاب دورًا مهمًا في الصلح بين المأمون وبين رافع بن الليث[42].

ومكافأةً لهم على صنيعهم وتقديرًا لإخلاصهم أمر المأمون واليه على خراسان غسان بن عباد أن يولي الأبناء الأربعة على ولايات إقليم ما وراء النهر، ففي سنة (204هـ) عين نوحًا على سمرقند، وأحمد على فرغانة، ويحيى على الشاش[43]وأشروسنة[44]، وإلياس على هراة[45]، ولما تولى طاهر بن الحسين إقليم خراسان أقرّهم على أعمالهم[46]، ويذكر ابن خلكان في ثنايا إحدى تراجمه بأن نوح بن أسد الساماني كان عاملا على بخارى للخليفة المأمون، وبأنه كان قد أرسل إليه سنة (200هـ)، هدية شملت عددًا من الرقيق[47]. وعندما تولى الخلافة المعتمد على الله وصل إلى نصر بن أحمد الساماني سنة (261هـ) منشور باسمه يقرّ فيه الخليفة السامانيين على مناصبهم، ويؤكد النظام الوراثي لحكمهم فيما وراء النهر[48].

وظل السامانيون يتمتعون بنفوذ كبير في مناطقهم، ويشدون أزر الطاهريين في صراعهم مع الصفاريين[49].

وفي سنة (259هـ). أسقط الصفاريون حكم الطاهريين، وباتت بلاد ما وراء النهر مهدّدة من قبلهم، فأرسل نصر بن أحمد الساماني جيشًا لحماية شواطئ نهر جيحون، لكن الجند تركوا مهمتهم وشغبوا على قائدهم، وانطلقوا إلى بخارى، فأشاعوا فيها الفوضى، مما جعل الفرصة مواتية لمتغلب من خوارزم أسرع إلى المدينة واستولى عليها، وسرعان ما قتل فخلفه رجل آخر يدعى الحسين بن محمد الخوارجي، فأقام الخطبة في بخارى باسم يعقوب الصفار[50].

واستنجدت بخارى بنصر الساماني. فأرسل إليها أخاه إسماعيل، وجعله واليًا عليها، فتمكن إسماعيل من إقرار الأمن بها وإقامة الخطبة فيها باسم الأمير نصر. وكان ذلك سنة (260هـ)[51]. ومع أن الوالي إسماعيل استطاع أن يضم أملاك بخار خداة[52] الشاسعة إلا أنه كغيره من السامانيين، لم يستطع تطبيق النظام على جميع الناس في كل المناطق؛ لأن حكمهم هذا اصطدم بوجود أسر كبيرة وعريقة في المناطق، وهذه الأسر كانت تحتفظ لنفسها بالحكم المحلي من إظهار الطاعة للسامانيين، وكانوا يقدمون لهم الهدايا، أما الخراج فلم تكن تلك الأسر تدفعه[53] بحكم تسلطها على مقاليد الحكم في البلاد، ومن هذه الأسر المحلية: أسرة أبي داود في بلخ، وآل فريغون في جوزجان، والترك في بست وغيرهم، بل إن الصاغانيان ظلت تحت حكم أمرائها إلى ما بعد سقوط السامانيين[54].

وواضح أن أحوال الرعية قد تحسنت في زمن السامانيين لاستتباب الأمن وازدهار التجارة والصناعة. وهذا مما ساعد على استمرار الدولة السامانية أكثر من قرن وربع القرن من الزمان.

وفي سنة (261هـ) - وهو التاريخ الذي يعتبر بدءًا لقيام الدولة السامانية - قدرت الخلافة العباسية للسامانيين إخلاصهم وجهودهم في الحفاظ على الحدود الشرقية واعترفت بنصر الساماني واليًا على ما وراء النهر من نهر جيحون إلى أقصى ما يصل إليه شرقًا. وجعلت إقليم ما وراء النهر منفصلاً عن خراسان[55]. ويبدو أن الخلاف حول السلطة دب بين الأخوين نصر وإسماعيل إلى درجة نشوب الحرب بينهما انتهت بانتصار إسماعيل بن أحمد[56]، غير أن دور نصر لم يتوقف، ويبدو أن علو همته، وقسوة شخصيته، وحسن تدبيره قد أكسبه سمعة طيبة في دار الخلافة، ففي سنة (271هـ). صدر أمر الأمير الموفق بالله طلحة[57] بعزل عمرو بن الليث الصفار عن ولاية خراسان وجعلها خالصة لأبي عبد الله محمد بن طاهر الخزاعي، فاستخلف عليها رافع بن هرثمة "ما خلا أعمال بلاد ما وراء النهر، فإن الموفق بالله أقر عليها نصر بن أحمد بن أسد الساماني خليفة لمحمد بن طاهر"[58].

وهكذا فقد ورثت الأسرة السامانية التقاليد الطاهرية في الحفاظ على علاقات ودية مع بغداد في الأعم الأغلب، والتعاون مع الخلافة على حفظ الأمن في الأقاليم الشرقية، والدفاع عن الثغر الشرقي، وبسبب العوامل البشرية والجغرافية والحضارية فقد جمع بلاط السامانيين وإدارتهم العناصر الثلاثة التي كونت المشرق الإسلامي فكان على العموم عربيًا في ثقافته وحضارته فارسيًا في تقاليده ومراسيمه تركيًا في جنده ومؤسساته العسكرية[59].

في سنة (279 هـ). توفي الأمير نصر بن أحمد بعدما أرسى قواعد دولة، وأوجد نظام حكم، واجتاز بالأسرة السامانية محنة التأسيس والبناء.. وخلفه أخوه إسماعيل في إمارته، ووصله تفويض الخلافة بذلك سنة(280هـ).

ويعد عهد إسماعيل بن أحمد الذي دام أكثر من ستة عشر عامًا عصر القوة السامانية ذلك لأن إسماعيل الساماني (279 هـ - 295 هـ). ضمّ إلى نفوذه ولاية أشروسنة ثم تبعها بضم خراسان له.

وبذل إسماعيل جهودًا كبيرة في الحفاظ على أمن المناطق الشرقية التي عرفت اضطرابات وقلاقل بسبب بعدها عن مركز الخلافة العباسية.

وتمكن إسماعيل من القضاء على عصابات اللصوص، وقُطّاع الطرق، الذين تجمعوا حول بخارى يريدون الهجوم عليها، وأمر صاحب شرطته حسين بن العلاء بمحاربتهم، وأعاد الفلاحين إلى مزارعهم، وحفظ لهم حقوقهم، وساعده أهل بخارى وأعيانها إلى أن سحق اللصوص وانتصر عليهم وأسر رئيسهم؛ فعمرت البلاد، وازدادت ثرواتها، كما نجح في دحر قوات طاهر بن الحسين التي عبرت نهر جيحون لمهاجمة بخارى، وأنزل بها هزيمة ساحقة، فأثبت بذلك مقدرته العسكرية فزاد تعلق الجند به والتفافهم حوله[60].

وكان لإسماعيل دور بارز في رفع راية الجهاد ضد الأتراك البدو في تركستان الشرقية، فأوغل في بلادهم، حتى مدينة "طراز" الواقعة شمال طشقند، من بلاد الترك، وكان أهلها على المسيحية فنزلوا على الصلح ودخلوا في الإسلام[61].

وقد عرف الترك الإسلام عن طريق مجاورتهم للسامانيين، فدخل كثير من قبائلهم في الإسلام بصورة جماعية طواعية واقتناعا دون أن يغزوهم أحد، وظهر ذلك في سنة 349 هـ حيث أسلم منهم نحو مائة ألف خركاه[62] (أي خيمة تضم أسرة)، ويذكر (بارتولد) أن هذه الجماعة هي التي أسست الدولة القراخانية وهي أول دولة تركية إسلامية، وكان زعيمهم آنذاك هو "ستوق بغراخان"[63].

على أننا لابد أن نذكر بأن الخلافة العباسية على عهد المعتضد لم تكن بعد مطمئنة من نوايا ومخططات إسماعيل الساماني، كما أنها لا تريد له أن يقوى لدرجة كبيرة بحيث تسوّل له نفسه تهديدها كما فعل يعقوب الصفار؛ ولهذا كله فرغم أن الخليفة المعتضد العباسي أقرّ إسماعيل الساماني على بلاد ما وراء النهر إلا أنه كان يحث عمرا الصفار على الاصطدام به وعدم السماح له بضم خراسان[64]. ويذكر النرشخي أن إسماعيل بن أحمد تسلم كتابًا من عمرو بن الليث يدعوه إلى طاعته ويعده بالوعود الحسنة، ويشعره بأنه أحد أمرائه الذين يشاركونه في الحكم باعتباره

الحاكم الحقيقي لإقليم خراسان[65]، وقد حاول إسماعيل الساماني في بداية الأمر تحاشي الاصطدام مع عمرو الصفار فكتب إليه: "إنك وليت دنيا عريضة وإنما في يدي ما وراء النهر وأنا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركني في هذا الثغر"[66]. ولكن عمرا بن الليث رفض فكان جواب إسماعيل أن "سأحارب عمرا بن الليث بهذا الجيش"[67]. وهكذا فرضت الظروف السياسية وإرادتها للصدام بين القوتين السامانية والصفارية عام (287هـ). خرج فيها إسماعيل بن أحمد منتصرا في معركته الكبيرة قرب بلخ والتي انتهت بأسر الصفار وهزيمة جنده[68]. وقد امتدح الخليفة المعتضد بالله موقف إسماعيل بن أحمد، بعد أن بلغته أنباء القتال الذي دار بين الطرفين والنتائج التي تمخض عنها[69]. وأرسل إسماعيل عمرا إلى الخليفة حيث سجن ومات أو صقل في السجن سنة (289 هـ)[70].

وبذلك تمكن السامانيون من إسقاط الإمارة الصفارية وإنهاء حكمها في خراسان إلا أن نفوذها بقي في سجستان وللتخلص منه أرسل الخليفة المعتضد سنة (288 هـ) إلى إسماعيل الساماني مبلغًا من المال قدره (ثلاثة ملايين درهم) وطلب منه أن "يجهز جيشا إلى سجستان لحرب من بها من أصحاب طاهر بن محمد بن عمر"[71].

كما اشتبك إسماعيل الساماني مع أمير طبرستان محمد بن زيد العلوي الذي أبدى طمعه في الاستيلاء على خراسان بعد أسر عمرو بن الليث الصفار فنهاه إسماعيل وترك له جرجان على ألا يتقدم نحو خراسان، ولما أبى إلا العداء، ندب إسماعيل قائده محمد بن هارون، فحاربه وقضى عليه وأسر ابنه يزيد وأرسله إلى إسماعيل واستولى على طبرستان، وكان ذلك سنة (289هـ)[72].

ولم يكتف إسماعيل بذلك، بل ضمّ الري وقزوين وزنجان[73] إلى حوزته، وبذلك أمن حدود بلاده من ناحية الغرب[74]، ولكن محمد بن هارون استقرّ في طبرستان وأعلن عصيانه على إسماعيل الساماني، ثم انطلق إلى الري وخلص أهلها من حاكمهم المستبد، واستفحل أمر محمد بن هارون فأوكل الخليفة المكتفي[75] أمر القضاء عليه إلى الأمير إسماعيل الساماني، فتوجه إليه وقبض عليه، وأودعه السجن، فلم يدم سجنه شهرين حتى مات فيه[76].

ونظرًا لكون السامانيين سنة على مذهب أبي حنيفة[77]. فإن الصراع مع العلويين اتخذ شكلاً عنيفًا. استطاع خلاله السامانيون أن يثبتوا سيادتهم السياسية والدينية، ويخدمون توجه الخلافة في بغداد أيضًا، وذلك باحتواء الحركات المناوئة في أقاليم الري وكرمان والجبال والديلم، أمثال الساجلية[78] والزيارية[79] ثم

البويهية[80].

وهكذا يتبين أن سلطان السامانيين في أوجه امتد على خراسان وماوراء النهر وجرجان وطبرستان وقومس والري وقزوين وزنجان وسجستان وكرمان وفارس وغزنة وقوهستان إلاّ أنّ الحديث عن النشاط العلمي عند السامانيين سوف يقتصر على إقليمي خراسان وما وراء النهر؛ لأن سلطان السامانيين استمرّ فيها بلا انقطاع حتى انهيار دولتهم.

وقد أجمع المؤرخون على انبعاث نهضة إسلامية كبرى من مدارس ماوراء النهر خصوصًا من بخارى وسمرقند زمن السامانيين، وساعد على ذلك مستوى الرخاء ومظاهر الثروة واستتباب الأمن وتشجيع التجارة والزراعة والصناعة[81].

وفي عام (295 هـ)، توفي الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني، والدولة السامانية في أوج قوتها واستقرارها، فله الفضل الكبير في توطيد الحكم، والقضاء على الفتن والاضطرابات، فكسب حب الناس واحترامهم وتأييدهم؛ لأنه كان حسن السيرة عاقلاً عادلاً، مكرمًا للعلماء فلقب (بالأمير الماضي)، كما أُطلق عليه في بعض أنحاء إيران اسم (الملك)، لأعماله الجليلة التي قام بها، و ظل مطيعًا للخليفة مقرًا بالطاعة له[82].

وبعد وفاة إسماعيل بعث الخليفة المكتفي بعهد الولاية إلى ابنه أبي نصر أحمد بن إسماعيل الساماني، الذي كان واليًا على جرجان من قبل والي الري وطبرستان بارس الكبير[83].

ورغم أن الأمير أحمد بن إسماعيل أراد أن يسير وفق سياسة والده في الإدارة غير أنه لم يكن في قوة شخصيته وشدة إرادته وذكائه[84]. فقد كان محبًا للعلم وراعيًا للعلماء محبًا للغة العربية، لذلك أكرم عمال الدولة المتقنين لها، مما أثار عليه سخط حراسه، فقتلوه غيلة عام (301 هـ)، وسُمي بالأمير الشهيد[85].

وبموت الأمير أحمد بن إسماعيل حصل اختلاف شديد بين أمراء البيت الساماني حول السلطة وجرى ترشيح كل من الأمير "نصر بن أحمد بن اسماعيل"، وعم أبيه "إسحاق بن أحمد"، وكتب كل منهما إلى الخليفة "المقتدر بالله" مؤملاً الحصول على اعتراف الخلافة بإمارته. كما وقعت الحرب بين الطرفين وكان من نتائجها انتصار الأمير "نصر بن أحمد"، ولكن على حساب قوة الدولة وتلاحمها.

ولقب الأمير نصر فيما بعد بالسعيد[86] وكان إذ ذاك حدثًا في العاشرة من عمره، وحين دخل عليه أعيان بخارى لتهنئته تملكه الرعب وصرخ في وجههم ظنًا منه أنهم جاءوا ليقتلوه كما قتلوا أباه من قبل، ومازالوا به حتى هدأوا من روعه وخصت السنوات الأولى من حكمه تحت الوصاية، وكان لوزيره "أبو عبد الله محمد بن أحمد

الجيهاني" فضل كبير في تدبير شؤون الدولة وحسن تسييرها.

وكان تألق عهد "نصر بن أحمد" في الواقع أقرب إلى ومضات لهب يخبو أكثر منه إلى ضوء ثابت مستقر، فهو برغم امتلاكه التام لكل بلاد جده إسماعيل، وقضائه على ثورة عم أبيه إسحاق بن أحمد الذي استقرّ بسمرقند، وثورة ابنه أبي "صالح منصور بن إسحق الساماني" الذي استولى على نيسابور، وبعض مدن خراسان[87]، وإضافته لأراضي جديدة إليها، فإنه لم يبلغ بحكمه الطويل إلى تقوية الدولة السامانية واستقرارها[88].

استمر حكم نصر بن أحمد ثمانية وعشرين عامًا، وتوفي سنة (331 هـ)[89]، فاجتمع قادة الجيش وأولي الأمر وبايعوا ابنه نوحًا على الإمارة، وأجمع الناس على ذلك لما يعرفونه عنه من سيرةٍ حسنةٍ وأخلاقٍ حميدة، وقد كان حليمًا وكريمًا ولذلك لقبه الناس (بالحميد)[90].

ولكن الأمور لم تستقر في عهد نوح، بل استمرت الاضطرابات وتعددت الفتن والمحن وظل الأمر كذلك حتى وفاته.

وبوفاته بدأت الدولة السامانية تعاني آلام الانهيار والضعف والهزال، وبدأت النماذج المشرفة للأمراء والحكام تغيب عن منصب القيادة، مما جعل الدولة مطمعًا للطامعين وهدفًا للمتربصين. وقد خاض السامانيون صراعًا متعدد الجوانب مع البويهيين من جهة، والزياريين من جهة أخرى، ومما كان يزيد موقف السامانيين حرجًا التأييد الذي كان يلقاه البويهيون في إيران من قبل الخلافة التي سيطر عليها معز الدولة البويهي حتى لم يبق للخليفة العباسي أي نفوذ سياسي يساند به حلفاءه من آل سامان[91].

وقد استطاع معز الدولة البويهي أن ينتزع الشرعية من الخليفة العباسي في حربه مع السامانيين، والاستيلاء على خراسان، سنة (337 هـ). كما حصل عضد الدولة البويهي على مرسوم بولايته على كرمان وسجستان، سنة (357 هـ)، دون رغبة السامانيين[92]. ومن أشد الصعوبات التي واجهت حكم الأمير نوح غزو ركن الدولة البويهي لبلاد الري، واستيلائه عليها، ولم يلبث أبو علي بن محتاج - القائد الساماني - أن طرد الأمير البويهي من الري، على أن أبا علي - نفسه - انقلب على سادته السامانيين فطمع في إقليم خراسان، واستولى عليه، وأرسل إلى الخليفة العباسي يطلب تفويضًا بولاية خراسان فأجيب طلبه، ودخل خراسان، واستولى على نيسابور وخطب للمطيع لأمر الله العباسي في سنة (343 هـ)، وهي السنة نفسها التي توفي فيها الأمير نوح بن نصر، وبهذا انحسر النفوذ الساماني مرة أخرى، فلم يعد

يتجاوز بلاد ما وراء النهر[93].

في عهد الأمير منصور بن نوح بدأ الضعف يدب في جسم الدولة السامانية حيث تطلع البويهيون للاستيلاء على أملاك الدولة السامانية، ففي سنة (352 هـ) أقام القائد "ألبتكين"[94] إمارة في غزنة[95] مستغلاً ضعف الدولة وحالة الفوضى التي تسود البلاد، وكان "ألبتكين" هذا مملوكًا تركيًا ارتقى في مناصب الدولة حتى نال الوزارة بعد أن ولي نيسابور، ثم تطلع إلى الاستقلال عن الدولة السامانية، وأعلن عن قيام إمارته في غزنة في عهد الأمير منصور بن نوح الذي اضطر إلى الاعتراف بحكمه على أن يؤدي له ضريبة سنوية، مقدارها خمسون ألف دينار[96]. كما انتهت حروب منصور مع ركن الدولة البويهي إلى نفس النتيجة التي انتهت إليها مع "ألبتكين"، فقد عقد الصلح بينهما، على أن يحمل ركن الدولة وولده عضد الدولة إلى منصور مائة وخمسين ألف دينار، ثم تصاهر البيتان بتزويج منصور الساماني بابنة عضد الدولة، وحمل إليه من الهدايا والتحف ما لا يعد ولا يحصى، وكتب بينهم كتاب صلح وشهد فيه أعيان خراسان وفارس والعراق وذلك سنة (361 هـ)[97].

ولعل من أهم أسباب سقوط السامانيين تعرض البيت الساماني لعدة صراعات وفتن داخلية بين أفراده، مما أدى إلى نشوب الحرب بينهم، وقد انتهى أمر السامانيين إلى ما انتهى إليه أمر العباسيين من الاعتماد على الأتراك في إمداد جيوشهم بالعناصر الجديدة، وأصبح من السهل على الأتراك أن يتدرجوا في المراتب العليا للجيش الساماني وفي دواوين الإدارة، وقد استفحل خطر الأتراك وأصبح من المتعذر التخلص منهم، وخاصة عندما وصلوا إلى أكبر منصب عسكري في الدولة السامانية، وهو "صاحب جيش خراسان" ومنهم ابن سيمجور، وابن محتاج، وألبتكين، وفائق، وبكتوزون[98].

كما أن كثرة الصراعات بين القادة الأتراك تسببت في اضطراب أحوال البلاد، وازدياد نفوذ الأرستقراطية العسكرية، وهذا النفوذ أدى إلى زيادة الشغب في مختلف أنحاء الدولة. فتحت حكم عبد الملك بن نوح بن نصر الساماني استطاع قائد حرسه ألبتكين أن يستولي على مقاليد الحكم ويجمع أملاكا لا حصر لها[99].

وقد ظل الأمراء السامانيون يعانون من خيانات قادتهم، وتواطئهم مع أعداء الدولة والخارجين عليها إلى أن أذنت دولتهم بالمغيب .

وجدير بالذكر أن عوامل الانهيار تكاد تكون متشابهة بين الدويلات في إقليم المشرق، ولعلنا نستطيع أن نجمل سقوط السامانيين في العوامل الرئيسية الآتية[100]:

1 ـ انشقاق البيت الساماني على نفسه منذ أواخر عهد إسماعيل الساماني، وإذا

كان إسماعيل حاكمًا مقتدرًا تغلب على الانشقاق فإن الأمراء الذين جاءوا بعده كانوا ضعفاء وصغار السن، مما عرض الدولة لتدخل الفساد في شؤون الحكم، فالأمير نصر بن أحمد تسلم الحكم في الثامنة من عمره، والأمير عبد الملك بن نوح كان في العاشرة حين جاءته السلطة !، ولاشك في أن الناس والأسرة الحاكمة وحكام الأقاليم استصغروا هؤلاء الحكام، فتمردوا عليهم، وثاروا ضدهم، بل إن كثيرًا من الأمراء كانت نهايتهم محزنة بإيداعهم السجون، وهم المنصور وإخوته أبو إبراهيم، وإسماعيل، وأبو يعقوب، وأعمامه أبو زكريا، وأبو صالح، وأبو سليمان، وغيرهم وماتوا جميعًا في السجن، وبعض الروايات تشير إلى أن بعضهم حاول الهرب فقتله بعض أفراد القبائل هناك(101).

2 ـ سياسة العفو والتسامح التي اتبعها السامانيون مع المتمردين على سلطتهم وعدم استخدامهم القوة والبطش ضدهم، كان يشجع الأمراء والقواد ويحفّز عمال الولايات للنهوض والعصيان للاستئثار بالسلطة وخلق المتاعب والاضطرابات في كيان الدولة السامانية، وإضعاف قدرتها المادية والبشرية.

3 ـ تعرض الدولة السامانية للضغط المتزايد من كل الجهات، فمن الشمال والغرب تعرضت لضغط الديلم والعلويين، كما تعرضت للضغط البويهي، ثم تعرضت من الشرق لضغط خانات الأتراك الذين دخلوا الإسلام على يد السامانيين، ثم بدأوا يتطلعون للاستقلال والحلول محلهم، ولم يجد السامانيون من سبيل لصد هذين الخطرين (الخانيين، والبويهيين) سوى الالتجاء إلى القوة المتنامية في الجنوب الشرقي من ماوراء النهر وهي الغزنويون، الذين كان ظهورهم عاملاً من عوامل سقوط هذه الدولة.

4 ـ اعتماد السامانيين الفرس على الأتراك في جيشهم ـ وهم من العناصر التي ثبت خطرها على الدول المعاصرة لهم ـ كان له الأثر القوي في إضعاف دولتهم والتعجيل بزوال حكمهم، وذلك أن هؤلاء الأتراك ما لبثوا أن تقلدوا المناصب العالية في الجيش والإدارة المدنية، وأصبحوا خطرًا عليهم بسبب السلطات الواسعة التي استأثروا بها، وغدا الأمراء الصغار غير المتمرسين في الحكم ألعوبة بأيديهم.

5 ـ دخول مبادئ هدامة إلى البنية الاجتماعية السامانية، حيث انتشرت مبادئ باطنية إسماعيلية متطرفة، وأيدها بعض من قادة الدولة، حتى أن نصر بن أحمد اتُهم بميوله الإسماعيلية فأجبر على التخلي عن الحكم، وجاء بعده

الأمير نوح الذي قمع الحركة الإسماعيلية واضطهدها في صفوف شعبه.

4 ـ الدولة الغزنوية ...أنموذج الولاء السياسي والعقدي (351هـ ـ432هـ)

يرجع ظهور الدولة الغزنوية التي سميت بعاصمتها غزنة، إلى أحد الأتراك المغامرين المسلمين المسمى "سبكتكين"(102) الذي استرعت حنكته العسكرية، وحسن تدبيره الإداري لقواد الجيش الساماني أمثال "ألبتكين"، فترقى بفضل موهبته في اجتياز الرتب العسكرية التي يتدرج بها الغلام المجند من الأتراك بين تجنيده ووصوله إلى رتبة "أمير" في الجيش الساماني المعروف بتنظيماته العسكرية المشددة. وانصرف "سبكتكين" إلى خدمة "ألبتكين" وابنه أبي اسحق من بعده إلى أن آل إليه الأمر بعد وفاة الأخير، وكان أبو اسحق قائدًا لجيوش السامانيين في غزنة، وحين قدم إلى بخارى أيام الأمير منصور بن نوح صحبه "سبكتكين" إليها. ثم عاد معه إلى غزنة، ولم يلبث أبو اسحق أن توفي سنة (366 هـ)، ولم يترك من أهله من يصلح للإمارة من بعده فأجمع الجند على تولية "سبكتكين" لما عرفوه من عقله، ودينه، ومروءته، وكمال خلال الخير فيه، فأحسن السيرة فيهم ونال ثقتهم وتأييدهم(103).

وما أن استقر "سبكتكين" في غزنة حتى أخذ يثبت سلطانه فيها، ويؤسس لبناء دولة قوية الأركان. واسعة الأرجاء. "وانتهج في ذلك سياسة يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

1 ـ إيجاد قاعدة قوية في غزنة وما حولها للانطلاق منها نحو أهدافه.

2 ـ وراثة أملاك السامانيين في خراسان.

3 ـ بسط النفوذ شرقًا في بلاد الهند لاكتساب تقدير المسلمين برفع راية الجهاد ونشر الإسلام، وكسب مزيد من البلاد والثروات.

وقد حقق "سبكتكين" قدرًا كبيرًا من هذه الأهداف وأكمل المسيرة من بعده ولده محمود، ففي السنة الأولى من حكمه استولى على مدينة "بست" جنوب غزنة في سجستان حين استنجد به حاكمها المدعو (طغان) على أحد الثائرين الذي استولى على "بست" وطرده منها، فسار "سبكتكين" على رأس جيوشه وتمكن من القضاء على تلك الحركة وإعادة طغان إلى بلده، بعد أن تعهد له الأخير بدفع مبلغ من المال نظير مساعدته، إلا أن طغان لم يف بوعده وماطل في دفع المال، فنشب القتال بينهما. واستولى "سبكتكين" على "بست"، ثم سار إلى "قصدار"(104)، وألزم حاكمها بدفع مبلغ من مال يحمله إليه كل سنة(105).

رجع "سبكتكين" إلى غزنة ظافرًا يحدوه الأمل في الانطلاق إلى أراضي الهند

الواسعة ينشر فيها الإسلام، وفعلاً يمّم وجهه شطر الأقاليم الهندية، فاتجه إلى المواقع الجبلية الواقعة في بلاد الأفغان الآن، واستولى على بعض المواقع فيها؛ حيث مدينة (كابل) حاضرة بلاد الأفغان الحالية، وقد أفزعت أعمال "سبكتكين" أحد ملوك الهند المسمى "جيبال" الذي كانت مملكته تمتد في شمال غرب الهند، وقد رأى في استيلاء "سبكتكين" على أطراف بلاده تهديدًا خطيرًا لمملكته فدخل مع "سبكتكين" في حروب طاحنة، ألحقت الهزيمة بجيبال وأجبرته على طلب الصلح[(106)]. وهذا الصلح هو مال يؤديه، وبلاد يسلمها، وخمسون فيلاً يحملها إليه، فاستقرّ ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد، وسير معه "سبكتكين" من يتسلمها ... فلما أبعد جيبال قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضًا عن رهائنه. فلما سمع "سبكتكين" بذلك سار نحو الهند فأخرب كل ما مرّ عليه من بلادهم، وقصد "لمغان" وهي من أحسن قلاعهم فافتتحها عنوة، وهدّ بيوت الأصنام وأقام فيها شعائر الإسلام.. ثم عاد إلى غزنة وسار خلفه جيبال في مائة ألف مقاتل، فلقيه سبكتكين وألحق به هزيمة كبيرة وأسر منهم ما لا يعد، وغنم أموالهم وأثقالهم ودوابهم الكثيرة، وذلّ الهنود بعد هذه الوقعة، ولم يكن لهم بعدها راية ...، ولما قوي سبكتكين بعد هذه الوقعة أطاعه الأفغانية والخلج"[(107)].

أما في الشرق فقد استطاع سبكتكين أن يوطن مركزه على حساب السامانيين الذين انحسرت دولتهم، وانكشفت أراضيهم، ففي سنة (384 هـ) استغاث به الأمير الساماني نوح بن منصور على أبي علي سيمجور وفائق الخاصة اللذين اعتزما خلع طاعته والتفرد بخراسان، فأسرع سبكتكين بالانضمام إلى نوح، وألحق بهما هزيمة ساحقة، فأنعم الأمير الساماني على سبكتكين بلقب، (ناصر الدولة). كما لقب ولده الذي كان يرافقه بلقب (سيف الدولة). وأسند إليه حكم خراسان، وعندما أعاد الثائران الكرة من جديد استعان محمود بوالده وأنزلا بهما هزيمة منكرة، واستتب الأمر لمحمود في إقليم خراسان، بينما واصل سبكتكين سياسة التوسع حتى وافاه الأجل في شعبان من سنة (387 هـ)، بعد حكم استمر عشرين عاما[(108)].

وقبيل وفاة سبكتكين أوصى بالسلطة لابنه إسماعيل متجاهلاً ابنه الأكبر محمود الذي كان في نيسابور آنذاك، ومخالفًا للعرف والاتفاقيات السابقة بالنسبة لتولية العهد بعد سبكتكين، ويبدو أن السبب في اختيار اسماعيل للولاية هو إرضاء أخواله الذين كانت لهم سلطة في الدولة، أما أخوال محمود فلم يكن لهم سلطان مثل هؤلاء[(109)].

"ولكنه من الصعب التأكد من الاعتبارات التي دفعت سبكتكين إلى تعيين إسماعيل مفضلاً إياه على محمود كخليفة له، ربما يكون قد أثرت فيه صلة إسماعيل بألبتكين - فهو حفيده من ابنته - ولأنه وقف إلى جانبه وهو على فراش الموت في غياب أبنائه الثلاثة الآخرين، ولكننا لا ننكر أن سبكتكين أظهر نقصًا في بعد نظره السياسي في خليفته للمستقبل وكذلك في توهمه بأن محمودًا وهو الابن الأكبر

والأكثر مرونة سوف يقبل أن يتمتع أخوه بالحكم بعد أن ضمن حكم مقاطعات كل من بلخ والعاصمة وغزنة"[110].

حين قام إسماعيل بالأمر بعد أبيه سنة (387 هـ) عزّ على محمود - وهو القوي الطموح - أن يترك ملك أبيه يفلت من بين يديه، فأرسل إلى أخيه يطلب منه أن يتنازل له عن حكم غزنة فهو الأكبر سنًا، ولكن إسماعيل رفض طلب أخيه، وقرر الاستئثار بحكم الدولة الغزنوية دونه، ولم يكن إسماعيل حازمًا. لذلك استضعفه الجند، واشتطوا في طلب الأموال حتى أفنى الخزائن التي خلفها أبوه[111]. أما محمود فقد قرر أن ينفذ مشيئته بحد السيف، فسار عن نيسابور إلى هراة عازمًا على قصد أخيه بغزنة وانضم إليه عمه بغراجق وفي بست انضم إليه أيضا أخوه نصر، وفي غزنة وقعت بين الطرفين معركة، انهزم فيها إسماعيل وصعد إلى قلعة غزنة فاعتصم بها فحصره أخوه محمود واستنزله بأمان فلما نزل إليه أكرمه وأحسن إليه وأعلى منزلته وأشركه في ملكه ... وكانت مدة ملك إسماعيل سبعة أشهر[112]. وولي محمود السلطنة سنة (388 هـ - 421 هـ)[113].

استغلّ منصور الساماني سير محمود عن خراسان لقتال أخيه وعين "بكتوزون" بدله، ولكن محمودًا قرر التخلص منه، وإخضاع كامل خراسان وتأمين جناحه الشمالي حتى يتفرغ إلى غزواته التي يزمع القيام بها في بلاد الهند، فتقدم نحو خراسان متخذًا من تآمر بكتوزون وفائق الخاصة على منصور بن نوح، وقبضهما عليه، وسمل عينيه وتولية أخيه الصغير، فرصة لتحقيق سياسته، وأحل محمود الهزيمة بجيش السامانيين في مرو (جمادي الأولى سنة 389 هـ)، وبذلك صفت له خراسان، وعين أخاه نصرًا على جيوشها، فاتخذ نيسابور قاعدة له، وخطب للخليفة القادر، وبذلك زالت دولة السامانيين من خراسان على يد محمود كما زالت من بلاد ما وراء النهر على يد بغراخان التركي[114].

وتلقب محمود بعد هذا الانتصار بلقب "السلطان" بعد أن كان يلقب بلقب أمير، وقد لقبه الخليفة القادر بالله "يمين الدولة، وأمين الملة"، وظهرت هذه الألقاب على السكة التي تحمل اسمه[115].

راح السلطان محمود يمد رواق سلطانه على الأملاك المجاورة، فاستولى على سجستان سنة 393 هـ[116]، كما أزال سلطان البويهيين في الري وبلاد الجبال في سنة (420هـ)، ثم ملك قزوين وقلاعها ودان له بالطاعة أمراء هذه الجهات[117].

وقد أرضى محمود الخلافة العباسية حين أصبح زعيمًا قويًا للمذهب السني في خراسان ضد المناوئين للخلافة والخارجين عليها، فتتبعهم بالقتل والنفي وخاصة الرافضة والإسماعيلية، والقرامطة وغيرهم، كما نفى المعتزلة وضيق عليهم، وأحرق كتب الفلسفة والنجوم، ورفض أن يستجيب للفاطميين الذين حاولوا استمالته

تخفيفًا من حملته على أشياعهم[118].

وقد كان محمود الغزنوي بأعماله تلك يقوم بتنفيذ أوامر الخلافة العباسية بصورة وأخرى، والدليل على ذلك أنه كان يوافي الخلافة بكل تحركاته بهذا الخصوص، كما كانت تحركاته تلك تلقى الكثير من الدعم والتأييد.

فقد استطاع السلطان محمود أن يخضع بلاد الغور فيما بين غزنة وهراة، ويمد نفوذه إلى بلاد ما وراء النهر[119].

إلا أن أهم توسع غزنوي استمات فيه السلطان محمود هو ما تحقق على يده في جبهة الهند، وأعطى محمودًا سمعة كبيرة في "دار الإسلام" عرف بموجبها باسم السلطان الغازي، ومع أن السلطان محمود لم يكن أول من جاء بالإسلام إلى الهند بل سبقه إلى ذلك الأمويون العرب خلال خلافة الوليد بن عبد الملك، إلا أنّه قام بغزوها سبع عشرة مرة على مدى سبعة وعشرين عامًا، فيما بين عامي (391 هـ) و(417 هـ) حتى خضع له شمال شبه القارة الهندية .

هذا ومن المعروف أن الهند لم تكن غريبة على محمود فقد سبق له أن شارك أباه في غزواته لها من قبل، مما يسّر له الاطلاع على أحوالها والوقوف على قدر غير قليل من أساليب القتال عند أهلها[120].

ففي عام 392 هـ انتصر محمود على ملك "البنجاب" (جيبال) وأسره، كما أسر عددًا كبيرًا من الناس، ثم أطلق سراح الملك (جيبال)، وكان من عادة الهنود أنه إذا وقع أحد منهم بالأسر وكان رئيسًا ألا تعود له الرئاسة فيما بعد إذا تخلص من الأسر، فلما فدى (جيبال) نفسه عاد وحلق رأسه وألقى نفسه بالنار، وترك ملكه لابنه "أنندبال"، وقد قضى السلطان محمود على هذه العادات الجاهلية بنشره الإسلام في تلك المناطق[121].

ولا شك أن الفتح الإسلامي لبلاد الهند جلب منافع كثيرة ومكاسب عظيمة للهنود خاصة الطبقة المنبوذة التي سعدت بحياة الحرية والانطلاق في ظل الإسلام الذي حفظ حقوقها، وسوّاها مع الطبقات الأخرى، فدخلت في دين الله أفواجا.

وقد اعترف بذلك الزعيم الهندي جواهر لال نهرو في كتابه (Discovery Of India) قائلا:

"إن دخول الإسلام الهند له أهمية كبرى في تاريخ الهند؛ إذ أنه قد فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوسي وأظهروا فروق الطبقات واحتقار المنبوذين وحب الاعتزال عن العالم الذي كانت تعيش فيه الهند، إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التي كان يؤمن بها المسلمون أثرت في أذهان الهندوس تأثيرًا عميقًا، وكان أكثرهم خضوعًا لهذا التأثير البؤساء الذين حرمهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية"[122].

وفي عام (404هـ)، استولى محمود الغزنوي على ناردين، وهدم الصنم المعروف "بسومنات" الذي يرمز لعناد الهنود ووثنيتهم، وغنم غنائم كثيرة، وشنّ غزوات ثلاث على بلاد كشمير سنة (404هـ)، (405هـ)، (406هـ)، رغبة منه في ضمّها إلى مملكته ولكنه لم يوفق فيها جميعًا وفقد كثيرًا من جنده، وذهب أكثرهم غرقًا في فيضان الأنهار(123).

وفي عام (407هـ)، اشتغل السلطان محمود بقتال خوارزم، إذ كان مأمون شاه خوارزم قد تزوّج أخت السلطان محمود، واعترف بسلطانه على بلاده غير أن بعض قواده قد قتلوه وأجلسوا ابنه مكانه فسار السلطان محمود إلى بلاد خوارزم، واستولى عليها، وعاقب الثوار القتلة، وولىّ على خوارزم أميرا من قبله(124).

وقد بلغ محمود الغزنوي في فتوحه إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية ولم تتل به قط سورة ولا آية، فدحض عنها أجناس الشرك، وبنى بها مساجد وجوامع(125)، وأقام بدلاً من بيوت الأصنام، مساجد الإسلام، وعن مشاهد البهتان، معاهد التوحيد والإيمان، فصارت الأطفال تهدد في بطولاتها بإقدامه، وتفزع بإقبال ألويته وأعلامه.

لقد كان للعقيدة الدينية والمذهبية عند الغزنويين أثر كبير في ولائهم السياسي، وتجلى ذلك في علاقاتهم بالخلافتين العباسية والفاطمية، وفي اهتمامهم بالقضاء على بعض الفرق مثل الباطنية والقرامطة والمعتزلة، وفي الواجهة الدينية لفتوحاتهم بالهند، وفي موقفهم من العلوم والعلماء .

كان الممثل الشرعي الوحيد للإسلام في نظرهم هو المذهب السني الذي يمثله الخليفة العباسي في بغداد، ولذلك كانوا يحرصون على كسب رضاه، واكتساب الصفة الشرعية لدولتهم بالحصول على تفويض منه، وأعلنوا أن فتوحاتهم وحروبهم تنفيذًا لأوامره وإرادته وأظهروا الاحترام الشديد له برغم أنه كان مجردًا من سلطاته الفعلية، ومكبلا بأغلال البويهين .

ولم يكن الغزنويون يحملون الحقد على العرب، ويسعون لهدم دولتهم، وبناء ملكهم على أنقاضها، بل بالعكس جعل سلاطينهم بغداد قبلتهم السياسية، والثقافية، بل وجدنا أن السلطان محمود أمر بتحويل الدواوين من الفارسية إلى العربية، واستخدم بعض العرب في جيشه (126).

ويمكن القول أن ظهور الغزنويين على مسرح الأحداث كان دمًا جديدًا سرى في أوصال الخلافة التي آذنت شمسها بالمغيب، بسبب الضربات المتتالية من قبل البويهيين، فانتعشت ونهضت، وامتد عمرها حينًا من الدهر .

وقد كان الخليفة القادر قبل الغزنويين غير معترف به في خراسان من قبل

السامانيين لعدم رضائهم عن البويهيين وعن الطريقة التي عزل بها سلفه الطائع، وظلت منابرهم تخطب باسم الخليفة المعزول بعد خلعه ثماني سنوات حتى استولى السلطان محمود الغزنوي على خراسان سنة 379هـ فحول الخطبة باسم القادر(127).

وفوق ذلك أمر السلطان محمود بنقش اسم الخليفة على السكة في بلاده ثم ألحق به اسم ولي العهد بناءً على طلب الخليفة، فتقارن ذكرهما في الخطب، وتوافق اسماهما على صفحات الفضة والذهب .

ومنح الخليفة القادر محمودًا اللقب الذي اشتهر به وهو "يمين الدولة وأمين الملة" وألقابًا أخرى كما لقب ابنه مسعودًا "ناصر دين الله، حافظ عباد الله، المنتقم من أعداء الله، ظهير خليفة الله أمير المؤمنين"، وواضح من هذه الألقاب ما يمثله الغزنويون بالنسبة للخلافة من أنهم نوابها ومفوضوها بحكم إقليم المشرق .

بعد وفاة السلطان محمود سنة (421هـ)، تولى السلطنة مسعود بعدما تخلص من مرشح والده أخوه محمد، تمامًا مثلما عمل محمود بعد وفاة والده سبكتكين. عندما تخلص من مرشح والده إسماعيل بقوة السلاح.

وسار مسعود إلى غزنة سنة (422هـ)، وخرج الناس جميعًا إلى حدود غزنة لاستقباله، ولما وصل إليها جلس على كرسي الحكم، واستقبل في حفل مهيب، وقدم له العلماء والفقهاء والأعيان التهاني والتعازي، ووعد مسعود بالعدل بين الرعية والنظر في المظالم(128).

ولما استقرت الأمور للسلطان مسعود في غزنة أرسل الخليفة العباسي القائم(129) إليه تقليدًا بالحكم مع رسول دار الخلافة، وجاء في التقليد: أن ناصر دين الله، وحافظ بلاد الله، - أبا سعيد مسعودًا - هو أعظم أركاننا وأقواها، وأمره بأن يقضي على الزنادقة والقرامطة، وأن يستولي على ما بيد أعدائه من البلاد.

واجتمع له ملك خراسان وغزنة وبلاد الهند وسجستان وكرمان ومكران والري وأصفهان وبلاد الجبل، وأتته رسل الملوك من سائر الأقطار(130).

وكانت المشكلة الأساسية التي واجهتها الإدارة الغزنوية خلال سلطنة مسعود مشكلة السلاجقة، فمنذ أن قبض السلطان محمود على زعيمهم أرسلان بن سلجوق وولده قتلمش مع عدد من كبار أصحابه، وبعث بأرسلان إلى بلاد الهند، حيث أمضى في السجن سبع سنوات وتوفي في سنة (422هـ)، وألحق بهم هزيمة نكراء سنة (419هـ)، ظل السلاجقة ينتظرون الفرصة المناسبة للثأر من الغزنويين، فبدأوا منذ سنة (425هـ)، يغيرون على خراسان إغارات منظمة.

"وفي عام (426هـ)، طلب السلاجقة من والي نيسابور أن يسمح لهم بالنزول بالقرب من المدينة والإقامة حولها، فرفض الوالي، وأحسّ بالخطر الذي يتهدده، فاستنجد بالسلطان مسعود، وطلب منه الحضور إلى نيسابور، للقضاء على هذا الخطر السلجوقي الداهم، فأسرع مسعود على رأس جيش قوي لقتال السلاجقة وهاجم معسكراتهم بالقرب من مدينة "نسا" وتمكن من إنزال هزيمة قاسية بهم، غير أنهم لم يلبثوا أن أعادوا تنظيم صفوف قواتهم، ثم هاجموا قوات مسعود الغزنوي وانتصروا عليها انتصارًا باهرًا، فاضطر مسعود إلى عقد صلح معهم، ترك بمقتضاه المنطقة لهم، وبادر بالرحيل إلى بلاد الهند لترتيب أمورها وإقرار الأوضاع فيها لاشتعال الفتن والمنازعات فيها.

وهكذا خلا الجو للسلاجقة في إقليم خراسان فتهيأت لهم الأسباب لتدعيم نفوذهم وبسط سلطانهم على هذا الإقليم، ثم التفكير في إقامة دولة لهم في ربوعه تكون ندًا للدولة الغزنوية"[131].

استفاد السلاجقة من صلحهم مع مسعود، فدعموا مركزهم، واستعدوا لإقامة دولة لهم، وأصبحوا يهددون البلاد الغزنوية ويعملون على إزالتها نهائيًا، فأوغر السلطان مسعود إلى عامله في خراسان سنة 429هـ، بالخروج لقتال السلاجقة فدارت الحرب بين الفريقين على أبواب مدينة سرخس في آخر شعبان من السنة المذكورة، وانتهت بانتصار السلاجقة وهزيمة الجيش الغزنوي. وانسحب الجيش الغزنوي من المنطقة تاركًا إقليم خراسان كله لقمة سائغة للسلاجقة، بعد أن صارت قوتهم أعظم قوة في خراسان.

وكان انتصار السلاجقة حافزًا لهم على الإسراع بإعلان قيام دولة لهم، فاندفعوا بقيادة زعيمهم "طغرلبك" إلى نيسابور، فدخلها ونادى بنفسه سلطانًا على السلاجقة، وجلس على عرش مسعود الغزنوي في ذي القعدة من سنة (429هـ)، وأمر أن تقرأ الخطبة باسمه، واتخذ لقب السلطان فكان بذلك أول سلطان للسلاجقة[132]، ولقب "طغرلبك" السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبوطالب.

ويعتبر عام (429هـ)، البداية الفعلية والحقيقية لقيام الدولة السلجوقية، وإن لم يعترف بها الخليفة العباسي إلاّ في سنة (432هـ)، حينما طلب السلاجقة منه أن يعترف بدولتهم وبطغرلبك سلطانًا عليهم، والواقع أن اعتراف الخليفة العباسي بالسلطان السلجوقي كان أمرًا شكليًا، يمنح صفة الشرعية للدولة السلجوقية ويرضي الناس عنها، ويقبلوا بحكمها[133].

هبّ السلطان مسعود الغزنوي مذعورًا لدى سماعه نبأ قيام الدولة السلجوقية واعتلاء طغرلبك العرش في نيسابور، فعزم على قتال السلاجقة وإسقاط دولتهم، والقضاء عليها في مهدها، فأعد جيشًا بنفسه، وبذل جهودًا متوالية بين عامي (429هـ) و(431هـ). للقضاء عليهم، ولكنها جهود باءت كلها بالفشل، أدت إلى تمكين السلاجقة وإحكام قبضتهم على خراسان وبلاد ما وراء النهر وقطع كل أمل للغزنويين في عهد مسعود وفي عهود خلفائه للسيطرة على شيء من إيران أو بلاد ما وراء النهر"(134).

وكان آخر اشتباك بين الغزنويين والسلاجقة في معركة ضارية في موضع يعرف باسم (داندانقان)(135) انتهت بهزيمة الغزنويين في رمضان من سنة (431هـ)(136)، ولم يلبث السلطان مسعود أن لقي مصرعه في سنة 432هـ واستقرّ بالحكم من بعده مودود بن مسعود (432ـ441هـ).

لم يعد الغزنويون يفكرون في مهاجمة السلاجقة أو مناوأتهم، بعد أن فقدوا معظم جيوشهم، وخسروا أجزاء كبيرة من أراضيهم أمام السلاجقة الذين أحكموا سيطرتهم على خراسان وما وراء النهر، وأخذوا يستعدون لبسط سلطانهم على إيران والعراق وآسيا الصغرى والشام وكل ما يستطيعون إليه وصولاً من بلاد المسلمين وغير المسلمين، ويلاحظ أن السلاجقة سمحوا للغزنويين بالاستمرار في حكم غزنة وما حولها ولم يعملوا على إزالتها لكنه لأسباب تتعلق باعتراف الغزنويين بالكيان الجديد وسيادتهم عليها، فقد ظلت الدولة الغزنوية قائمة في غزنة والبنجاب برئاسة سلطانها إبراهيم بن مسعود وأحفاده واستمر حكمهم مائة وثلاثين سنة أخرى.

ولكن لم يكن السلاجقة وحدهم الذين يهددون الدولة الغزنوية بل إن الدولة تلقت ضربات شديدة من خانات التركستان، وضاعت منها أملاكها في الشرق، ولم يلبث أن استولى الغوريون(137) على غزنة سنة (553هـ)، فنقل الغزنويون عاصمتهم إلى ما تبقى لهم في الهند فجعلوا "لاهور" عاصمة لهم، ولكن سرعان ما وقع "تاج الدين خسرو" آخر حكام الغزنويين في الهند أسيرًا في يد الغوريين، فسيق إلى غزنة وهناك أعدم، وآلت أملاك الغزنويين في غزنة والهند إلى الغوريين(138).

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية :

1 ـ أثمرت الهجرة العربية إلى إقليم المشرق والاستيطان فيه إلى نشر اللغة العربية، والدين الإسلامي، وأصبحت خراسان وما وراء النهر بفضل الإسلام منطقة واحدة، ضُمت إلى دار الإسلام بعد أن كانت مقسمة إلى جزأين يفصل بينهما نهر جيحون، واستطاع الإسلام أن يوحد بين الأجناس

المختلفة في هذه المنطقة من عرب وفرس وأتراك.

2 ـ كانت السمة الأساسية للنصف الأول من العصر العباسي الثاني هو أنه كان مرحلة تكوين وتشكيل خريطة جديدة للقوى الإسلامية، فظهرت قوى جديدة واختفت قوى كانت قائمة، واستتبع ذلك بالضرورة إجراء توازنات جديدة عن طريق شبكة من التحالفات داخل العالم الإسلامي بين أطرافه ثم بين بعض الأطراف الإسلامية من جانب والقوى غير الإسلامية من جانب آخر، وهكذا سوف يشهد النصف الثاني من العصر العباسي الثاني نتائج التفاعلات التي تمت وفقًا لخريطة القوى والتوازنات الجديدة تلك .

3 ـ لما لم يستطع بعض الخلفاء العباسيين أن يحفظوا للخلافة سلطانها إزاء ما كان يبدو من نزعة إلى الاستقلال، فإنهم سارعوا إلى تشجيع وإسناد ومباركة القيادات الإقليمية على الاستقلال وتحويل هذه الظاهرة إلى أداة تاريخية إيجابية تعمل للتحقق بالانتشار الإسلامي في ما وراء الحدود.

4ـ كانت للعوامل الطبيعية والتيارات السياسية والظروف الاقتصادية دور حاسم في استقلال الدويلات في إقليم المشرق، وقد تم هذا في البداية تحت رقابة وإشراف الخلافة العباسية في بغداد، وفي هذا دليل على مرونة العقلية التشريعية للحكام المسلمين الذين وجدوا أن اتساع حدود الدولة وابتعادها عن القلب أعجز هذا القلب عن ضخ الطاقة الحيوية لكافة أطراف الدولة، وزاد من أعباء الحكومة المركزية بأمور الأقاليم مع الأخذ في الاعتبار عامل التنوع الجغرافي والعرقي، مما جعلهم يفوضون حكام الأقاليم في بعض الصلاحيات التي تسهل الممارسة الإدارية.

5 ـ لما كانت شخصيات الخلفاء العباسيين بعد عصر العباسيين الأوائل ضعيفة وهزيلة فقد سمحوا لحكام الأقاليم بالاجتراء عليهم، والتهوين من سلطانهم، والتمرد على أوامرهم، ولم يقف الحد عند هذا، بل نشب النزاع والتصارع والتلاحم بين حكام هذه الدويلات، وفي هذا مظهر سلبي للتنوع والاختلاف داخل المرجعية الإسلامية الواحدة.

6 ـ تباينت العلاقة بين الخلافة العباسية في بغداد وبين الدويلات المستقلة في المشرق وفق شخصية الخليفة وشخصية الأمير، فقد أخلص الطاهريون للخلافة العباسية، بينما أظهر الصفاريون التمرد، أما السامانيون والغزنويون فكانوا امتدادًا للطاهريين في ولائهم وإخلاصهم.

7 ـ سجّلت الدويلات في خراسان وما وراء النهر دورًا رائدًا في الحفاظ على الخلافة الإسلامية وخاصة في منطقة الثغور الشرقية، فالطاهريون تتبعوا كل الحركات المناوئة للخلافة والخارجين عليها، كما قام السامانيون بمحاولات جادة لجعل بيئة ما وراء النهر بيئة إشعاع ثقافي إسلامي، وذلك

بنشر الإسلام على المذهب السني في أقاليم تركستان إلى منتصف القرن الرابع الهجري /منتصف العاشر الميلادي، وخاصة في صفوف القبائل التي كانت تعيش عند مناطق الحدود مع بلاد الدولة الإسلامية وذلك بسبب احتكاكها العسكري المستمر مع المعسكر الإسلامي، مما أدى سنة (349هـ /960م) إلى إسلام مائتي أسرة تركية في أواسط آسيا دفعة واحدة لم يلبثوا أن زحفوا إلى منطقة ما وراء النهر.

ولا يزال المسلمون إلى اليوم في الجمهوريات الإسلامية التي كانت ترزح تحت سلطان الشيوعية الحمراء يفتخرون بأنهم من سلالة أولئك الفاتحين المسلمين الأوائل الذين حرروا بلادهم ونشروا بينهم أنباء الوحي الأعلى وهدى الصراط المستقيم.

الهوامش :

(1) حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام،** ط14، بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،1996م، ج2/ص156 - 160. محمد علي حيدر. **الدويلات الإسلامية في المشرق.** القاهرة: عالم الكتب (د.ت)، ص12.

(2) الشطار والعيارين : طبقة من المعدمين والفقراء والجياع والعاطلين عن العمل الذين طحنهم الفقر وأعجزتهم البطالة، بسبب سوء تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم عن مصالح العباد فضاقوا ذرعًا بغياب القانون وغيبوبة السلطان وغباوة العسكر وأهل الدولة، وقد جمع بينهم في صعيد واحد تاريخيًا واجتماعيًا أمران، أحدهما: الانتماء إلى دائرة اجتماعية معينة منبوذة طبقيًا واجتماعيًا من الفئات الاجتماعية الأعلى ..، والآخر: البطولة خارج القانون، أنظر: محمد رجب النجار، الشطار والعيارين، سلسلة عالم المعرفة 45، الكويت: المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، سبتمبر 1981. ص6- 7.

(3) علا عبد العزيز أبو زيد. **الدولة العباسية من التخلي عن سياسة الفتح إلى السقوط،** منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة: 1996م، ص64.

(4) فاروق عمر فوزي. **الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية.** ط2، بغداد: مكتبة المثنى، 1977م، ص216

(5) علا عبد العزيز أبو زيد. **الدولة العباسية**..مرجع سابق، ص65.

(6) محمد ضياء الدين الريس. **النظريات السياسية الإسلامية.** ط7، القاهرة: مكتبة دار التراث، (د.ت)، ص246-247.

(7) نجيب بن خيرة . **أبحاث إسلامية في الفكر والتاريخ** . ط1، الجزائر، عالم المعرفة، 2010، ص97.

(8) هو طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان، وقيل ابن أسعد، الخزاعي بالولاء، فقد كان جده "زريق" مولى لطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات ... وهو فارسي الأصل. ولد سنة 159هـ في بوشنج إحدى مدن هراة حيث كان جده مصعب واليًا عليها من قبل العباسيين. لقب "بذي اليمينين" لمهارته في استعمال كلتا يديه وكان أعور يرى بعين واحدة. وفي ذلك يقول الشاعر:

يا ذا اليمينين وعين واحدة   نقصان عين ويمين زائدة

وقيل: إنه سمي ذا اليمينين "لأن المأمون كتب إليه لما فرغ من أمر المخلوع: يا أبا الطيب يمينك يمين أمير المؤمنين، وشمالك يمين فبايع بيمينك يمين أمير المؤمنين، ففعل فلزمه هذا الاسم". انظر: أبو منصور الثعالبي النيسابوري. **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف (د. ت). ص 292.

انظر: ابن الأثير. **الكامل**. ط4، بيروت: دار الكتاب العربي، 1983م، ج5 / ص205، ابن خلكان. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. (د. ط)، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ج2 / ص520، المسعودي. **التنبيه والإشراف**. بغداد: مكتبة المثنى (د. ت). ص 300.

(9) ابن الطقطقي.**الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**. بيروت:دار بيروت للطباعة والنشر،1980م،ص224.

(10) الطبري. **تاريخ الأمم والملوك**. ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م ج5 / ص163.

(11) جمال الدين الشيال. **تاريخ الدولة العباسية**. ص67، عبد العزيز الدوري. **العصر العباسي الأول**. بغداد: مطبعة التفيض الأهلية، 1945م، ص217.

(12) فاروق عمر فوزي. **تاريخ إيران**. بغداد: منشورات بيت الحكمة، 1989م. ص118.

(13) انظر: الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص153 - 154.

(14) الشابشتي. **الديارات**.تحقيق كوركيس عواد، ط2، بغداد، مكتبة المثنى، 1966م ص89، كرديزي. **زين الأخبار**. ترجمة محمد بن تاويت، فاس: مطبعة محمد الخامس الجامعية الثقافية، 1972م. ص2 ابن خلكان.. **وفيات الأعيان**، ج2 / ص271.

(15) ابن الأثير. **الكامل**. ج5 / ص271.

(16) بابك الخرمي: نسبة إلى مدينة خرم شهر في إيران، وهو زعيم ديني فارسي صاحب بدعة (الخرمية)،وهي تعدُّ أخطر الحركات الفارسية المعادية للخلافة العباسية، فقد استمرت ما يزيد على عشرين عامًا واتسمت بدقة التنظيم وبراعة القيادة، والاتصال السياسي بالأكراد والأرمن وغيرهم، وكانت تؤمن بمبادئ هامة منها: الإيمان بالحلول والتناسخ حتى إن زعيمها بابك ادَّعى الألوهية، والمشاعية المزدكية في الأموال والأعراض وضرورة التخلص من السلطان العربي والدين الإسلامي، كما تقوم بدعة الخرمية على الاعتقاد بأن أبا مسلم الخراساني لم يمت وإنه سيعود ليملأ الأرض عدلا . وقد ألحقت هذه الحركة العديد من الهزائم بالجيش العباسي ولم يتم القضاء عليها إلاَّ في عهد المعتصم بالله، حيث وجه اليهم قائده الأفشين فامسك بابك وقتله مصلوبًا في سامراء بالعراق وتفرق اتباعة، انظر: نجيب بن خيرة، **الخراسانيون ودورهم السياسي والعلمي في العصر العباسي الأول**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ الإسلامي - جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة - الجزائر 1995م (مخطوط)، ص71.

(17) المازيار بن قارن: هو من سلالة بني قارن سلاطين طبرستان، وقد اتهم بالزندقة، وكان قد أثار الفلاحين على ملاك الأراضي.المسعودي.**مروج الذهب ومعادن الجوهر**.تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت:دار المعرفة،(دت).ج4/ص61.

(18) الحديثي. **الطاهريون**. . كلية الآداب، جامعة بغداد، 1966م، (رسالة ماجستير). ص136.

(19) البلاذري. **فتوح البلدان**. ص431.

(20) Siddiqi dr.Amir Hasan. **Caliphate And Sultanate In Medieval Persia (The Caliphate And Tahirids**) TheVoice Of Islam Februry ,Karatchi-Pakistan-1963,p242.

(21) الحديثي. **الطاهريون.** مرجع سابق، ص170.

(22) الأصفهاني. **تاريخ سني**. ص168.

(23) ابن الأثير. **الكامل**. ج5 /ص311.

(24) الكرديزي. **زين الأخبار**. ص11، عصام عبد الرؤوف الفقي. **الدول الإسلامية المستقلة في الشرق**. القاهرة: دار الفكر العربي، (د. ت). ص8.

(25) سجستان: سجستان: وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة في طرف خراسان وهي الحد بين خراسان والهند: انظر: ياقوت: معجم البلدان، ط1، القاهرة: مكتبة السعادة، 1906م، ج6/ص289.

(26) كرمان: إقليم يقع بين إقليم فارس غربا، وإقليم مكران والمفازة الكبرى شرقا، والخليج العربي جنوبا.

(27) يعقوب بن الليث الصفار:ولد يعقوب بن الليث في قرية صغيرة تسمى "قرنين" قرب عاصمة سجستان "زرنج" وكان يعمل عند أحد الصفاريين بأجرة شهرية قدرها 15 درهمًا، أما أخوه عمرو فكان نجارًا مرة وبناء مرة أخرى، ثم انخرط الأخوان في صفوف أحد الفرق المتطوعة لقتال الخوارج، تحت قيادة صالح بن النظر الكناني، واستطاع يعقوب أن يصل إلى مركز القيادة بقوته وحنكته، وبعد موت صالح آلت قيادة المتطوعة إلى درهم بن الحسين الذي لم يثبت جدارة تذكر فاختار المتطوعة يعقوب الصفار، الذي كان ذا تجربة عسكرية وقدرة على التنظيم، إضافة إلى اتصافه بالخشونة في العيش والتواضع مع أتباعه، ودخل الصفاريون بزعامة يعقوب مرحلة القوة حين سيطروا على هراة، وبوشنج، وكرمان، وفارس، ثم بلخ، وطخارستان، حتى تمكن من دخول نيسابور عاصمة الطاهريين، ودامت الدولة الصفارية من سنة 254هـ إلى سنة 289هـ. انظر: ابن خلكان. **وفيات الأعيان**ج6/ص402، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص12. حيدر علي. **الدويلات الإسلامية في المشرق**. القاهرة: عالم الكتب، (د. ت)، ص57..

Armagani.**the Saffarids.Astduy In I ranian Nationalisme**.I.c.o.pp,168-173

(28) محمد علي حيدر. **الدويلات الإسلامية في المشرق**. مرجع سابق، ص48.

(29) ابن الأثير. **الكامل**. ج5 / ص363.

(30) الحسن بن زيد: هو أحد أبرز رجال الدعوة العلوية المعارضة للحكم العباسي، جعل الري مركزا له، ثم انتقل بعد ذلك إلى طبرستان وأعلن مناوءته للطاهريين وبويع بها سنة 250هـ على كتاب الله وسنة رسوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتمكن من طرد الأمير الطاهري عن طبرستان، وأسس الدولة الطبرية، فشملت طبرستان، والديلم، والري، وقزوين، وزنجان، وقومس، وجرجان، إلى أن توفي سنة 270هـ، وتولى بعده أخوه محمد وتلقب بالداعي إلى الحق. انظر: الرفاعي. **الخلافة العباسية**..، مرجع سابق، ص134 - 136.

(31) كان الزنج يجلبون بأعداد كبيرة من سواحل إفريقيا الشرقية وأواسطها، حيث كانوا يستخدمون في أعمال زراعية مختلفة أهمها كسح السباخ وهو الطبقة الملحية التي تغطي سطح الأرض الزراعية ليصلحوها ويحولوها إلى تربة صالحة للزراعة. وكان في أنهار البصرة منهم عشرات ألوف يعذبون بهذه الخدمة، إذ كان وكلاء الملاك يسومونهم كافة أنواع العسف والإهانة. بل كانوا يجمعونهم في سلاسل حتى لا يتهاربون.. ولم تكن تدفع لهم أجورهم مقابل أعمالهم الشاقة كما تقضي أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء. انظر: أحمد علبي. **ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد.** بيروت: 1961م، ص75 فما بعدها، حسن إبراهيم حسن. **تاريخ الإسلام**. ج3/ ص216، بروكلمان. **تاريخ الشعوب الإسلامية**. ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1984م، مرجع سابق،ص215.

(32) الحديثي. **الطاهريون**. مرجع سابق، ص154.

(33) ابن الأثير. **الكامل.** ج7 / ص290.

(34) إبراهيم باستاني . **يعقوب بن الليث الصفار** . ترجمة فتحي يوسف الريس، القاهرة : دار الرائد العربي،ص206، نقلا عن :محمد عبد الحميد الرفاعي . **الخلافة العباسية .** ط1، القاهرة : دار الثقافة العربية 1997، ص146.

(35) انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى.** ص113 - 115، ابن الأثير. **الكامل.** ج6 / ص4.

(36) Claude Cahen **LIslam Des Origines Au Debut DE L Empire Ottoman** ,Hachette Livre,france,1995,P280.

(37) ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص3، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص21، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص91، محمد علي حيدر. **الدويلات الإسلامية في المشرق**. مرجع سابق. ص77.

(38) الزرداشتية : ديانة النظام الساساني الرسمي، وتنسب إلى زرداشت الذي عاش في ميديا شمالي غربي فارس مات نحو 583 ق، م، ترى الزرداشتية أن للعالم إلهين إله الخير (أهورا) وإله الشر (أهرمن) لكلمنهما الخلق والإبداع، وإله الخير يمثل النور وإله الشر يمثل الظلمة، والإنسان مخير لا مسير عليه أن يختار بنفسه أيًا من هذين الإلهين ... انظر: فاروق عمر فوزي. **تاريخ إيران**.، مرجع سابق، ص70 - 71.

(39) كرديزي **زين الأخبار**. ص22، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص91.

(40) انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص91، حيدر. **الدويلات الإسلامية في المشرق**. مرجع سابق. ص82.

(41) أبي الفرج ابن الجوزي. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ـ مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. (د.ت). ج5 / ص141.

(42) أحمد شلبي. **موسوعة التاريخ الإسلامي**. ط5، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1990م، ج8 / ص70.

(43) الشاش: الشاش: يقع إقليم الشاش غربي إقليم فرغانة، على ضفة نهر سيحون اليمنى، أي: الشمالية الشرقية. وتقع حاليًا داخل (جمهورية أوزبكستان). وتعرف باسم طشقند، والخرائب المعروفة اليوم بـ

(طشقند) القديمة هي موضع المدينة التي سمّاها العرب: (الشاش)، والفرس: (جاج)، وكان يقال لمدينة الشاش (بنكث) أو (بيكث)، وهي قصبة إقليم الشاش، وقد كان لكثير من أسماء المدن في بلاد ما وراء النهر تسميتان: إيرانية وتورانية، أنظر: كي ليسترنج، **بلدان الخلافة الشرقية**، مرجع سابق، ص523.

(44) أشروسنه: وهي فيما وراء النهر قريباً من مدينة سمرقند أنظر : ابن خرداذبة. **المسالك والممالك**. ليدن: مطبعة بريل، 1899م.ص29 - 30.

(45) هراة : وتقع حاليا في شمال غرب أفغانستان، وما تزال تعرف باسمها القديم. ومدينة هراة تقع على النهر المسمى باسمها، والذي ينبع من جبال الغور ويجري من الشرق إلى الغرب مارًّا بمدينة هراة فمدينة بوشنج ثم ينعطف شمالاً إلى سرخس، حيث تفنى مياهه في المفازة الواقعة إلى الشمال منهاأنظر : كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. مرجع سابق، ص449 - 450.

(46) ابن خلدون. **التاريخ.** بيروت: دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، 1986م، ج3 / ص311، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص22، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص112، ابن الأثير. **الكامل.** ج6 / ص3.

(47) ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج1 / ص173.

(48) انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص112، خاشع المعاضيدي. **تاريخ الدويلات العربية والإسلامية في المشرق والمغرب**، ط1، بغداد: جامعة بغداد، 1979م.. مرجع سابق. ص 36.

(49) انظر: أحمد إبراهيم الشريف، حسن أحمد محمود. **العالم الإسلامي في العصر العباسي**. ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، (د، ت)، ص466.

(50) انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى.** ص113 - 115، ابن الأثير. **الكامل.** ج6 / ص4.

(51) النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص115، أرمينوس فامبري. **تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر**. ترجمة: أحمد محمود الساداتي، القاهرة: (د.ت). ص95.

(52) بخار خداة: ملك بخارى.

(53) المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص275، وانظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص124.

(54) النرشخي. **تاريخ بخارى.** ص124.

(55) انظر: الطبري. **تاريخ.** ج5 / ص502، فامبري. **تاريخ بخارى.**مرجع سابق، ص95.

(56) النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص121.

(57) الموفق بالله (طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد) - أخو المعتمد على الله أحمد الخليفة العباسي الخامس عشر (256هـ - 279هـ) كان يدير أمور أخيه ولم يعتل منصب الخلافة لوفاته مبكرا.

(58) ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج6 / ص424.

(59) فاروق عمر فوزي. **تاريخ إيران.** مرجع سابق. ص134. عبد العزيز الدوري. **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**. بغداد: مطبعة السريان، 1945م، ص124 - 125.

(60) انظر: النرشخي: **تاريخ بخارى**. ص 117، المعاضيدي. **تاريخ الدويلات.** مرجع سابق. ص 37.

(61) الرفاعي. **الخلافة العباسية**. مرجع سابق. ص 155.

(62) ابن الأثير. **الكامل.** ج6 / ص358.

(63) بارتولد (Barthold). دائرة المعارف الإسلامية.ج4/ص24. **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**.. ترجمة أحمد السعيد سليمان. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م، ص 89-90.

(64) فاروق عمر. **تاريخ إيران**. مرجع سابق. ص 134. حيدر. **الدويلات الإسلامية**. مرجع سابق. ص 112.

(65) النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 124.

(66) الطبري. **تاريخ.**ج5 / ص632، ابن الأثير. **الكامل**.ج6 / ص95، ابن كثير. **البداية والنهاية،** بيروت: مكتبة المعارف، (د، ت). ج11 / ص80 - 81.

(67) انظر: الطبري. **تاريخ.** ج5/ص604، ابن كثير. **البداية والنهاية.** ج11/ص66، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 125. الخضري بك. **الدولة العباسية**. تحقيق الشيخ محمد العثماني. ط1، بيروت: دار القلم، 1986م، ص352.

(68) الطبري. **تاريخ.** ج5 / ص635، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 127، والنرشخي يرى أن ذلك تم سنة 288 هـ، الحديثي. **خراسان في العهد الساماني**. كلية الآداب، جامعة بغداد، 1980م، (رسالة دكتوراه)، ص 147.

(69) الطبري. **تاريخ.** ج5 / ص632، ابن كثير. **البداية والنهاية.** بيروت: مكتبة المعارف، (د، ت). ج11 / ص80 - 81.

(70) ابن الأثير. **الكامل.** ج6 /ص 96.

(71) الطبري. **تاريخ.** ج5 / ص637. ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج6/ص432.

(72) ابن الأثير. **الكامل.** ج6 / ص96 - 97.

(73) زنجان: بلد مشهور من نواحي الجبال. وهي قريبة من أبهر وقزوين وبينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخًا. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 / ص171.

(74) ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص104، 107، الكرديزي. **زين الأخبار**. مرجع سابق. ص 23.

(75) الخليفة المكتفي: هو علي المكتفي بن المعتضد بن أبي أحمد بن المتوكل، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المعتضد بعهد منه وذلك في 22 ربيع الآخر سنة289هـ. ولم يزل خليفة إلى أن توفي في 12 ذي القعدة سنة 295هـ. انظر: الطبري. **تاريخ.** ج5/ص670، ابن كثير. **البداية والنهاية.** ج11/ص104.

(76) ابن الأثير. **الكامل.** ج6 / ص97، النرشخي.**تاريخ بخارى**. ص 132، الكرديزي. **زين**

الأخبار. ص 23-24، فامبري. **تاريخ بخارى**. مرجع سابق. ص 103.

(77) المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 339، الدوري. **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**. بغداد: مطبعة السريان، 1945م.ص 123.

(78) الساجلية: نسبة إلى فاتك غلام يوسف بن أبي الساج الذي خرج عن الخليفة في بلاد فارس.

(79) الزيارية: نسبة إلى مرداويج بن زيار الديلمي مؤسس الدولة الزيارية في طبرستان.

(80) انظر: فاروق عمر. **تاريخ إيران**. مرجع سابق. ص 135.

(81) انظر: حسن أحمد محمود.**الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي**، القاهرة: دار الفكر العربي (دت)، ص144.

(82) النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 129 - 130.

(83) الطبري. **تاريخ**. ج5 / 669، ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / 118، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 131.

(84) انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 131.

(85) الطبري. **تاريخ**. ج5 /ص 677، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 131، ابن الأثير.**الكامل**. ج6 / ص144.

(86) ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص145.

(87) النرشخي. **تاريخ بخارى**.. ص 133.

(88) انظر: فامبري. **تاريخ بخارى**. مرجع سابق. ص 113.

(89) ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص292.

(90) النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 134، ابن الأثير. ج6 / 292، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص 28.

(91) الحديثي. **خراسان في العهد الساماني**. مرجع سابق. ص 154.

(92) ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / 27.

(93) عصام عبد الرؤوف الفقي. **الدول الإسلامية المستقلة في الشرق**.القاهرة: دار الفكر العربي (د. ت). ص18.

(94) ألبتكين: كلمة مركبة من "ألب" بمعنى البطل و"تكين" بمعنى المسمى، والكلمة الأخيرة وصحتها تكن، أو تكن أوتين لا تزال تروج كاسم علم بين التركمان. انظر: هامش (2) عند فامبري. **تاريخ بخارى**. مرجع سابق. ص 117.

(95) غزنة : الأفصح عند المدققين من العلماء هو **(غزنين)**، وكتبها المقدسي بصيغة التثنية **(غزنين)**، وقد تعرّب إلى **(جزنة)**، وكان القياس اللغوي يقتضي أن يقال عند النسب إليها: **(غزني)** ولكن السماع - وهو أقوى من القياس - جرى على أن يقال: **(غزنوي)**. وغزنة عاصمة لولاية واسعة في طرف خراسان من ناحية الشرق تعرف باسم: **(زابلستان)**، وقد تسمى باسم القصبة فيقال: **(غزنين)**، وبعض الجغرافيين العرب مثل ابن حوقل والاصطخري، يعتبرونها جزءًا من ولاية سجستان. وتقع غزنة في بلاد أفغانستان الحالية.

انظر: المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص303، ابن حوقل. **صورة الأرض**. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت). ص349، الإصطخري. م **مسالك الممالك**. بيروت: صادر مصور عن نسخة ليدن: مطبعة بريل، 1927م، ص277.

(96) فامبري. **تاريخ بخارى**. مرجع سابق، ص 117.

(97) انظر: ابن الأثير، **الكامل**، ج7/ص48، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص 51، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص272.

(98) انظر: الرفاعي. **الخلافة العباسية**. مرجع سابق. ص 156 - 157، الشريف. **العالم الاسلامي في العصر العباسي**. ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت)، ص469. حسين أمين. **الدولة السامانية**. مجلة المؤرخ العربي،العراق، العدد الخامس عشر، 1980م، ص15-16.

(99) النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص150، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص45.

(100) انظر: فاروق عمر. **تاريخ إيران**. مرجع سابق. ص 136 - 137، الحديثي. **خراسان في العصر الساماني**. مرجع سابق. ص 130 - 133، جمال الدين سرور. **تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق**. القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت)... ص 85، الشريف. **العالم الإسلامي**. مرجع سابق. ص 469، حيدر. **الدويلات الإسلامية في الشرق**. مرجع سابق. ص 129 - 166. الدوري. **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**، مرجع سابق، ص121 - 122.

(101) ابن خلدون. **التاريخ**. ج8 / ص 768 - 769، وانظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 125 - 134.

(102) سبكتكين: هو سبكتكين بن جوقي، يلقب بقراجكم وتعني بالتركية الزعيم الأسود الشجاع. انظر: الرفاعي. **الخلافة العباسية**. مرجع سابق. ص 165 - 166.

(103) ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص86، المعاضيدي. **تاريخ الدويلات العربية والإسلامية..** مرجع سابق. ص69.

(104) قصدار: تبعد عن بست ثمانين فرسخا. وتمتاز بصعوبة مسالكها وحصانتها. ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص86.

(105) انظر: ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص86.

(106) الشريف. **العالم الإسلامي**. مرجع سابق. ص 473.

(107) ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص87. الخلج: قبيلة تركية منازلها في القسم الجنوبي من أفغانستان بين سجستان والهند، كانوا يعملون كحراس للحكام الأجانب.

(108) ابن الأثير.**الكامل**.ج7 / ص184، المعاضيدي.**تاريخ الدويلات العربية والإسلامية**.مرجع سابق. ص71.

(109) أحمد شلبي. **موسوعة التاريخ الإسلامي**. ط5، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1990م. ج8 / ص 87.

(110) - the combridg history of iran **(the early ghaznavids)** P. 168.

نقلا عن: العمادي. **خراسان في العصر الغزنوي**. عمان: مؤسسة حمادة للخدمات، 1997م، ص 38.

(111) ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص184

(112) انظر: ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / 185.

(113) ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص191.

(114) الشريف. **العالم الإسلامي**. مرجع سابق. ص 474 - 475، حسن ابراهيم حسن. **تارخ الإسلام**، مرجع سابق. ج3/ص94 - 95.

(115) ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج5/ص175 - 182، بروكلمان. **تاريخ الشعوب الإسلامية**. ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1984م. ص 267، سهيل زكار. **تاريخ العرب والإسلام**. ط4، بيروت: دار الفكر، 1982. ص 350.

(116) ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص 215.

(117) ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص335.

(118) حسن إبراهيم حسن. **تاريخ الإسلام**. مرجع سابق. ج3/ص95. الشريف. **العالم الإسلامي**. مرجع سابق. ص475.

Bousani.A. **Religion In the Saljuq Period**. In Combridge University Of Iran.1968.p.283.

(119) إدوارد براون. **تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي**، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، مصر: مطبعة السعادة، 1954م،. ج1 / ص376.

(120) أحمد محمود الساداتي. **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم**. ط3، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق (د. ت). ص 67.

(121) محمود شاكر. **التاريخ الإسلامي**. ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1985م، ج6 / ص 191.

(122) محمد إسماعيل الندوي. **تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية**. ص 40 - 42. نقلا عن مصطفى محمد رمضان. **العالم الإسلامي في العصر العباسي**. ط3، القاهرة، 1997م. ص 310.

(123) ابن الأثير. **الكامل**. ج7/ص273،270، 279،حسين أمين.**الدولة السامانية**.مجلة المؤرخ العربي.مرجع سابق ص18.

(124) ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص282.

(125) ابن خلكان. **وفيات الأعيان**.ج5/ص175 - 182.

(126) الرفاعي . **الخلافة العباسية** . مرجع سابق، ص184 - 185.

(127) أبو شجاع . **ذيل تجارب الأمم** . القاهرة :1915، نقلا عن الرفاعي . **الخلافة العباسية** . مرجع سابق، ص185.

(128) عبد الكريم عبده الطالب حتاملة. **العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية**. رسالة دكتوراه. كلية الآداب / جامعة القديس يوسف / بيروت، 1988م. ص 57.

(129) القائم بأمر الله: هو أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله. ولي الخلافة بعد أبيه بعهد منه وكانت بيعته في ذي الحجة سنة 422هـ. وبقي خليفة إلى 13 شعبان سنة 467هـ.

(130) ابن الأثير. **الكامل**. ج7 /ص 347.

(131) عبد النعيم محمد حسنين. **إيران والعراق في العصر السلجوقي**. ط1، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م. ص34. وانظر: سهيل زكار. **تاريخ العرب والإسلام**. مرجع سابق، ص352.

(132) البنداري. **تاريخ دولة آل سلجوق**. ط3، بيروت: دار الآفاق الجديدة 1980م. ص 8، المعاضيدي. **تاريخ الدويلات العربية والإسلامية**. مرجع سابق. ص 74، عبد النعيم محمد حسنين. **إيران والعراق في العصر السلجوقي**. مرجع سابق، ص 3.

(133) عبد النعيم حسنين. **إيران والعراق في العصر السلجوقي**. مرجع سابق، ص 36.

(134) المرجع نفسه. ص 37.

(135) داندانقان: بلدة من نواحي مرو الشاهجان.

(136) البيهقي.. **تاريخ البيهقي**. ترجمة: يحيى الخشاب، وصادق نشأت، بيروت: دار النهضة العربية، 1982م.ص438.

(137) الغوريون: هم من أتباع الغزنويين وكانوا يحكمون (إقليم الغور) وهو إقليم جبلي عبارة عن الجزء الجنوبي من بلاد الأفغان الحالية يمتد ما بين غزنة وهراة. حول تاريخ الغوريين انظر: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ط1، الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م، ج24/ص7642-7652.

(138) المعاضيدي. **تاريخ الدويلات**.. مرجع سابق. ص 75، أحمد شلبي. **التاريخ الإسلامي**. مرجع سابق. ج8/ص93، فاروق عمر. **تاريخ إيران**. مرجع سابق. ص 159.